الرسالة إلى

العبرانيين

ليس ثمة جزء آخر في الكتاب المقدس عُرضة للنقاش أكثر من هذا السفر من حيث هوية كاتبه. وفي الوقت عينه لا يوجد ما هو مثبَت أكثر منه في وحيه

كنيبار وهوسن ***Convbeare and Howson***

١ـ المكانة الفريدة بين الأسفار القانونية

تتفـرد الرسـالة إلى العبرانيين عن غيرها في العهـد الجديد، من عدة أوجه. ومع أن مقدّمتها ليسـت كمقدمة الرسـائل، فهي تنتهي كرسالة: هي موجّهة، بكل وضوح، إلى إيطاليا (١٣: ٢٤)، أو منها، إلى جماعة محدّدة يرجح أنها من المسيحيين العبرانيين. اقترح بعضهم أنه قد تم توجيهها في الأصل إلى كنيسة بيتيّة صغيرة، وبالتالي لا ارتباط لها بجماعة كبيرة ومشهورة، تضمن استمرارية التقليد من جهة أصل الرسالة وهوية الجهة التي أرسلت إليها.

أسلوب الرسالة إلى العبرانيين أدبي أكثر من باقي الرسائل في العهد الجديد. إنه شعري وزاخر بالاقتباسات من الترجمة السبعينية. كما أنه غني بالمفردات، ويستخدم اللغة اليونانية بكل دقة من حيث صيغ الأفعال وتفاصيل أخرى.

ومع أن لهذه الرسالة طابع يهودي (لقد تمت مقارنتها بسفر اللاويين)، إلا أن التحذيرات من التحول عن حقيقة موت المسـيح إلى مجرد شـعائر وطقوس دينية، يبقى العالم المسيحي يحتاج إليها باستمرار. وهنا تكمن عظمة أهمية هذه الرسالة.

٢ـ الكاتب

يبقى مؤلف هذه الرسالة مجهول الهوية، مع أن بعض الطبعات القديمة للكتاب المقدس، أوردت اسم بولس كجزء من عنوان السفر. والكنيسة الشرقية، في بداية عهدها، (ديونيسيوس وأكليمندس) رأت أن بولس هو الكاتب. وبعد قدر كبير من التشكيك في هذا الرأي، بات الرأي الذي يستبعد أن يكون بولس كاتب الرسالة هو السائد، من أثناسيوس فصاعدًا، حتى وافق عليه الغرب أخيرًا. بيد أن قلّة قليلة فقط في أيامنا هذه يعتبرون أن بولس هو الكاتب. لقد قبل أوريجانوس أن المحتويات تختص ببولس، كما أن الرسالة تحوي بعض لمسات بولس، إلا أن الأسلوب في الأصل، يختلف تمامًا عن أسلوب بولس. (وهذا لا يجزم بعدم إمكانية بولس كتابة الرسالة، إذ باستطاعة البارع أدبيًا أن يغير أسلوبه).

اقتُرح، عبر السنين، عدة كتاب محتملين: لوقا، بسبب الشبه بين أسلوبه وأسلوب الرسالة، والذي كان مطلعًا عن كثب على كرازة بولس؛ برنابا؛ فيلبس حتى أكيلا وبريسكلا.

أما لوثر، فاقترح اسم أبلّوس، مما يناسب أسلوب الرسالة ومحتواها: فالرجل مقتدر في أسفار العهد القديم، وغاية في الفصاحة (كانت الإسكندرية، مقر مسكنه، مشتهرة بالبلاغة). ولكن من الحجج ضد أبلوس، هي الافتقار إلى تقليد إسكندري فيه ذكر لهذه النظرية، الأمر الذي يستبعد أن يكون شخص إسكندري الأصل قد كتب هذه الرسالة.

لقد رأى الرب، في حكمته، الإبقاء على هوية الكاتب مجهولة. ويقول اقتراح إن بولس هو الذي كتب فعلاً هذه الرسالة، لكنه قصد إخفاء هذا الأمر بسبب ما يضمره اليهود من أفكار ضده. قد يكون هذا محتملاً، لكن كلمات أوريجانوس تبقى أفضل ما قيل: "أما من كتب الرسالة، فالله وحده يعرف ذلك بالتأكيد".

٣ـ التاريخ

على الرغم من الغموض الذي يلف هوية كاتب الرسالة، يبقى أمر دقة تأريخها ممكنًا.

الدليل الخارجي يستلزم أن تكون الكتابة قد تمت في القرن الأول. والمعروف أن إكليمندس الذي من روما، اقتبس هذا السفر (نحو ٩٥ م). كذلك اقتبس كل من بوليكاربوس الشهيد هذه الرسالة من دون تسمية كاتبها. أما ديونيسيوس الإسكندري، فيقتبس العبرانيين معتبرًا أنها بقلم بولس، كما أن إكليمندس الإسكندري: يصرح أن بولس هو الذي كتبها باللغة العبرانية، ثم قام لوقا بترجمتها. (بيد أن الرسالة لا تظهر أنها مُترجمة). بالمقابل لم يظن كل من إيرينايوس، وهيبوليتوس أن بولس هو الذي كتب الرسالة إلى العبرانيين، كما اعتبر ترتوليانوس أن برنابا هو مؤلفها.

أمّا من ناحية الدليل الداخلي، فيظهر أن الكاتب كان مسيحيًا من الرعيل الثاني (٢: ٣ ؛ ١٣: ٧). وعليه،

لا تكون الكتابة قد تمت في وقت باكر جدًّا كما هي الحال بالنسبة إلى رسالتي يعقوب وتسالونيكي الأولى (راجع ١٠: ٣٢). فالرسالة تخلو من أي ذكر للحروب اليهودية (التي بدأت عام ٦٦ ب م)، كما يظهر أن الذبائح في الهيكل كانت ما تزال تُقدَّم (٨: ٤؛ ٩: ٦؛ ١٢: ٢٧؛ ١٣: ١٠). وعلى هذا الأساس، يُحدَّد تاريخ كتابتها قبل العام ٦٦م، وبكل تأكيد قبل خراب أورشليم (٧٠م). ثم إن الرسالة تذكر اضطهادات (١٢: ٤)، لكن تستدرك أن المؤمنين "لم يقاوموا بعد حتى الدم". فإن صح القول إن الرسالة وُجِّهت إلى إيطاليا، فمن شأن الاضطهاد الدموي الذي وقع هناك في عهد نيرون (٦٤ب م) أن يرد تاريخ كتابة الرسالة إلى نحو منتصف العام ٦٤ على أبعد تقدير. إذًا، التاريخ ٦٣-٦٥ م هو محتمل جدًّا.

٤. الخلفية والموضوعات الرئيسية

تعالج الرسالة إلى العبرانيين، على وجه عام، الصراع المرير الناجم عن هجران نظام ديني معيَّن والانتقال إلى آخر. فالأمر يتضمن انتزاعًا عنيفًا للقيود القديمة، مع التوتر الذي يرافق عملية الانسلاخ، والضغوط القاسية التي تمارَس على المرتد لحمله على الرجوع.

لكن المشكلة في هذه الرسالة لا تقتصر على مسألة ترك نظام قديم من أجل نظام آخر يوازيه قيمة. بل كان الأمر يتعلق بترك اليهودية في سبيل المسيح، أو كما يبين الكاتب: يتضمن ترك الظلال من أجل الحقيقة، والطقوس من أجل الجوهر، السابق من أجل النهائي، والموقَّت من أجل الباقي — وبالاختصار، الجيد من أجل الأفضل.

كذلك تضمّنت المشكلة ترك ما هو شعبي من أجل ما هو غير شعبي، والأكثرية من أجل الأقلية، والظالمين من أجل المظلومين. وقد أدى ذلك إلى بروز معضلات عويصة وخطيرة.

لقد كتبت الرسالة إلى أناس ذوي خلفية يهودية. وكان هؤلاء العبرانيون قد سمعوا الكرازة بالإنجيل بواسطة الرسل أو سواهم في بداية عهد الكنيسة. كما عاينوا العجائب العظيمة التي عملها الروح القدس، والتي جاءت لتثبيت الرسالة. لقد تجاوبوا، في بداية الأمر، مع الأخبار السارة بواحدة من الطرائق الثلاث التالية: منهم من آمن بالرب يسوع المسيح، واهتدى فعلاً. ومنهم من اعترف بمسيحيته، واعتمد وأخذ مكانه داخل الجماعات المحلية، بيد أنه لم يولد ثانية بروح الله قط. وآخرون رفضوا رسالة الخلاص رفضًا قاطعًا.

إن رسالتنا هذه تتناول الصنفين الأولين: عبرانيين خلصوا فعلاً، وآخرين لم يكن عندهم سوى تظاهر خارجي بالمسيحية.

عندما كان اليهودي يترك إيمان آبائه، كان ينظر إليه كمرتد "مِشُومِد *meshummed*" وغالبًا ما كانت تتم معاقبته بواحدة أو بأكثر من الطرق التالية:

- تخلي عائلته عنه.

- إصدار الحرمان الديني بحقه أو طرده خارج رعية الأمة.
- فقدان ممتلكاته.
- ضغط نفساني وتعذيب جسدي.
- السخرية منه علنًا.
- السجن.
- الاستشهاد.

ولكن ثمة دائمًا طريق للنجاة ففي حال أنكر المسيح وعاد إلى اعتناق اليهودية، يجنب نفسه المزيد من الاضطهاد. وإذ نقرأ، في هذه الرسالة، بين السطور، فباستطاعتنا ملاحظة بعض الحجج القوية التي كان يستعان بها لرد المسيحي إلى اليهودية:

- غنى التراث الذي خلفه الأنبياء.
- المكانة الخاصة التي كانت للملائكة في تاريخ شعب الله القديم.
- الارتباط بالمشترع الشهير موسى.
- الروابط الوطنية بيشوع، القائد العسكري اللامع.
- مجد الكهنوت الهاروني.
- الهيكل المقدس حيث اختار الله أن يسكن بين شعبه.
- عهد الناموس كما أعطاه الله بواسطة موسى.
- أثاث القدس في الهيكل كما عيّنه الله، والحجاب الرائع.
- الخدمات داخل قدس الهيكل، ولا سيّما الطقوس التي تتعلق بيوم الكفارة (يوم كيبور، أهم يوم في التقويم اليهودي).

كما أننا نكاد نسمع اليهود من القرن الأول إذ يعرضون كل هذه الأمجاد المتعلقة بديانتهم القديمة والطقسية، وهم يتساءلون بشيء من السخرية: "وماذا لديكم أيها المسيحيون؟ نحن عندنا هذه كلها. ماذا عندكم أنتم؟ لا شيء ما خلا علية بسيطة، ومائدة، وبعض الخبز والخمر على المائدة. هل تقصدون أن تقولوا إنكم تخليتم عن هذه كلها من أجل هذا؟".

إن الرسالة إلى العبرانيين تشكّل في الواقع إجابة عن السؤال: "ماذا لديكم؟". وبكلمة واحدة، الجواب هو المسيح. ففي شخصه المبارك عندنا:

- مَن هو أعظم من الأنبياء.

- مَنْ هو أعظم من الملائكة.
- مَنْ هو أعظم من موسى.
- مَنْ هو أعظم من يشوع.
- مَنْ كهنوته أعظم من كهنوت هارون.
- مَنْ يخدم في هيكل أفضل.
- مَنْ أتى بعهد أفضل.
- مَنْ كان يرمز إليه أثاث الهيكل والحجاب.
- مَنْ كانت ذبيحته الواحدة عن الخطية، أسمى من الذبائح المتكررة للثيران والكباش.

وكما تختفي النجوم في ضوء مجد الشمس العظيم، هكذا أيضًا رموز اليهودية وظلالها تفقد أهميتها أمام المجد الأعظم لشخص الرب يسوع ولعمله.

إلى أن مشكلة الاضطهاد ما تزال قائمة، إذ إن الذين اعترفوا باتباعهم الرب يسوع، واجهوا مقاومة مريرة وعنيفة. وكان ممكنًا أن يدفع ذلك المسيحيين الحقيقيين إلى الفشل والقنوط. من هنا برزت الحاجة إلى تشجيعهم على الإيمان بمواعيد الله. كانوا يحتاجون إلى الصبر في ضوء المكافأة المقبلة.

كذلك، برز خطر الارتداد بالنسبة إلى الذين كانوا مجرد مسيحيين اسميين. فبعد اعترافهم بأنهم قبلوا المسيح، ينكرونه ليعودوا إلى الديانة الطقسية. وكانوا بذلك كأنهم يدوسون ابن الله، ويدنسون دمه، ويهينون الروح القدس. لم يكن ثمة مجال للتوبة أو للغفران بالنسبة إلى هذه الخطيئة المقترفة إراديًا. فالرسالة إلى العبرانيين تحتوي على تحذيرات متكررة من الخطيئة المقترفة إراديًا. فالرسالة إلى العبرانيين تحتوي على تحذيرات متكررة من هذه الخطيئة: ففي ٢: ١ يحذر الكاتب مَنْ وجّه إليهم الرسالة من أن **تفوتهم** رسالة المسيح؛ وفي ٣: ٧-١٩ يقول إنها خطية التمرد أو تقسية القلب؛ وفي ٦: ٦ ذكر أن الأمر هو **ارتداد**؛ وفي ١٠: ٢٥، نجد أن الأمر يتعلق **بترك الاجتماع**، وفي ١٠: ٢٦ يقول إن اقتراف الخطية يكون عن قصد وبالاختيار، وتتكلم الرسالة عن ذلك في ١٢: ١٦ بأنه **بيع للبكورية** من أجل أكلة واحدة؛ وأخيرًا في ١٢: ٢٥، تدعو الرسالة ذلك **رفضًا لسماع** ذاك الذي تكلم من السماء. لكن هذه التحذيرات موجهة جميعها نحو جوانب مختلفة من الخطية نفسها: خطية **الارتداد**.

ما يزال موضوع الرسالة إلى العبرانيين مناسبًا اليوم كما كانت الحال في القرن الأول للكنيسة. إننا نحتاج إلى أن نتذكر باستمرار الامتيازات الأبدية والبركات التي أصبحت من نصيبنا في المسيح. نحتاج إلى تشجيع على المثابرة والاحتمال في وجه المقاومة والصعوبات. كما أن جميع الذين يعترفون بالإيمان ادعاءً يحتاجون إلى التحذير من الرجوع إلى الديانة الطقسية بعد أن ذاقوا ورأوا أن الرب صالح.

التقسيم

١ـ المسيح أعظم في شخصه (١: ١ ـ ٤: ١٣).

أ. المسيح أعظم من الأنبياء (١: ١ ـ ٣).

ب. المسيح أعظم من الملائكة (١: ٤ ـ ٢: ١٨).

ج. المسيح أعظم من موسى ومن يشوع (٣: ١ ـ ٤: ١٣).

٢ـ المسيح أعظم في كهنوته (٤: ١٤ ـ ١٠: ١٨).

أ. خدمة المسيح كرئيس كهنة هي أعظم من خدمة هارون (٤: ١٤ ـ ٧: ٢٨).

ب. خدمة المسيح، بشكل عام، أعظم من خدمة هارون (أص٨).

ج. ذبيحة المسيح أعظم من ذبائح العهد القديم (٩: ١ ـ ١٠: ١٨).

٣ـ تحذير وتحريضات (١٠: ١٩ ـ ١٣: ١٧).

أ. التحذير من احتقار المسيح (١٠: ١٩ ـ ٣٩).

ب. حث على الإيمان بواسطة أمثلة من العهد القديم (أص ١١).

ج. حث على الرجاء في المسيح (أص ١٢).

د. حث على فضائل مسيحية شتى (١٣: ١ ـ ١٧).

٤ـ البركة الختامية (١٣: ١٨ ـ ٢٥).

التفسير

١ـ المسيح أعظم في شخصه (١: ١ـ ٤: ١٣).

أ. المسيح أعظم من الأنبياء. (١: ١ـ٣)

١: ١ لا يحتوي العهد الجديد على أية رسالة أخرى تعالج موضوعها بشكل مباشر كهذه الرسالة. فالكاتب لا يعرض أية تحية أو مقدّمة، بل يغوص موضوعه فورًا، إذ يبدو عليه أنه كان محصورًا بنفاذ صبر مقدّس لعرض الأمجاد الفائقة للرب يسوع المسيح.

أولاً، يفارق الكاتب بين إعلان الله بواسطة الأنبياء، وإعلانه ـ تعالى ـ بواسطة ابنه. كان الأنبياء ناطقين باسم الله، وكلامهم موحى به منه. كانوا خدّامًا ليهوه، مكرّمين. والغنى الروحي لخدمتهم محفوظ في كتابات العهد القديم.

بيد أن خدمتهم كانت جزئية. لقد أودع كل واحد منهم قسطًا محددًا من الإعلان، لكنه كان في كل مرة ناقصًا.

لم يُعطَ لهم الحق شيئًا فشيئًا فحسب، لكنهم استخدموا أيضًا أساليب **كثيرة** ومتنوعة لإيصاله إلى الشعب. فتم عرضه على شكل ناموس، وتاريخ، وشعر، ونبوة؛ كما أنه جاء شفويًا تارة، وطورًا مكتوبًا؛ وأحيانًا كان من طريق الرؤى، والأحلام، والرموز، أو الإيماء. لكن مهما كان عليه الأسلوب المعتمد، يبقى أن إعلانات الله السابقة للشعب اليهودي جاءت ابتدائية، وتدريجية، ومتنوعة لجهة أسلوب عرضها.

١: ٢ إن ما يحويه العهد القديم من نبوات دورية، وجزئية، ومتفاوتة، قد حجب نوره الآن إعلان الله الفائق والكامل في شخص **ابنه**. لم يكن الأنبياء سوى قنوات تنقل كلمة الله. أما الرب يسوع المسيح نفسه، فهو إعلان الله النهائي للبشر. وكما قال يوحنا: «الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبَّر» (يو ١: ١٨). وقد قال الرب يسوع عن نفسه: «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو ١٤: ٩). فالمسيح لا يتكلم بالنيابة عن الله فحسب، بل بصفته الله بالذات.

الكاتب، في تشديده على تفوق ابن الله اللامتناهي على الأنبياء، يبدأ بتقديمه من حيث كونه **وارثًا لكل شيء**. وهذا يعني أن الكون هو ملك له بتعيين إلهي، وأنه سوف يملك عليه عما قريب.

لقد **عمل الله العالمين به** أي بواسطته. فقد كان يسوع المسيح هو العامل الفعّال في عملية الخلق، فهو الذي أوجد السماوات المليئة بالنجوم، وسماوات الغلاف الجوي، والأرض، والجنس البشري، وخطة الله للدهور. فكل شيء مخلوق، على كلا الصعيدين الروحي والمادي، قد صنعته يداه.

١: ٣ إنه **بهاء مجد الله**، أي إن جميع كمالات الله الآب متوافرة فيه أيضًا. وباستطاعتنا أن نرى فيه جميع أمجاد الله الأدبية والروحية.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الرب يسوع هو **الرسم** الصحيح والحقيقي **لجوهر** الله. هذا، بالطبع، لا يشير إلى شبه مادي، إذ إن الله روح في جوهره. وإنما يعني هذا أن المسيح يمثّل الآب تمامًا، في كل ما يمكننا تصوره: فمن غير الممكن أن يوجد مماثل أوفى. فالابن، لكونه الله، يُعلن للإنسان، بواسطة كلماته وطرقه الإلهية، طبيعة الله بالتمام.

كما أنه يحمل الكون **بكلمة قدرته**. ففي البدء، تكلم حتى أوجد العالمين (عب ١١: ٣). وهو ما يزال يتكلم حتى الآن، وكلمة قدرته هي التي تحافظ على الحياة، وتبقى المادة متماسكة، وتصون نظام الكون. ففيه يقوم الكل (كو ١: ١٧). ويخطرنا بذلك تفسير بسيط لمعضلة علميّة عويصة، فالعلماء يجاهدون لاكتشاف ما الذي يجعل الجزئيات متماسكة: إن يسوع المسيح هو المثبّت العظيم لها، وهو يفعل ذلك بواسطة كلمة قدرته.

لكن المجد التالي لمخلّصنا هو الأكثر مدعاة إلى العجب: إذ **صنع بنفسه تطهيرًا لخطايانا**. فالخالق القدير والحامل الجبار أصبح حامل الخطية. لكي يخلق الكون، لم يعوزه إلا أن يتكلم، ولكي يصونه ويرعاه لا يحتاج أيضًا إلا إلى أن يتكلم، لأن الأمر لا يتعلق بأية مشكلة أدبية. لكن، لكي يرفع خطيتنا، مرة وإلى الأبد؛ كان عليه أن يموت على صليب الجلجثة. إنه لأمر مذهل أن نفكّر في أن الرب، صاحب السلطان، قد تنازل وانحنى ليصبح الحمَل الذبيح. إن محبة عجيبة بهذا الشكل، إلهية إلى هذا الحد، تقتضي أن أقدم لها

نفسي، وحياتي، كلي بجملتي، على حد تعبير المرنم إسحاق واطس *Isaac Watts*.

أخيرًا، يطالعنا ترفيعه بصفته الرب المتوّج على العرش: **لقد جلس في يمين العظمة في الأعالي**. لقد جلس — وضعية الراحة. وهذه الراحة ليست تلك التي تلي العمل المضني، بل راحة الشعور بالمسرة نتيجة لإتمام عمل. وتشير هذه الوضعية إلى أن عمل الفداء قد تم.

إن **يمين العظمة في الأعالي** هو مقام الكرامة والامتياز (عب ١: ١٣). فالرب يسوع الذي أحرز انتصارًا مجيدًا، رفّعه الله جدًّا. كما أن اليد اليمنى هي أيضًا مركز القدرة (مت٢٦: ٦٤)، والسرور (مز١٦: ١١). إن يد المخلِّص المثقوبة بالمسامير هي التي تمسك بصولجان السلطة على الكون أجمع (١بط ٣: ٢٢).

في اتّباعنا خُطى ربّنا، من الخلق إلى الجلجثة، ومن ثم إلى المجد، يظهر أننا فقدنا رؤية الأنبياء كليًّا. لقد تراجعوا، على الرغم من شهرتهم، إلى حيز الظلال. كانوا قد شهدوا للمسيح الآتي (أع١٠: ٤٣). لكن الآن، وبعد مجيئه، بسرور يتوارون عن الأنظار.

ب. *المسيح أعظم من الملائكة* (١: ٤-٢: ١٨).

١: ٤ إن الخطوة التالية في البحث الذي تتناوله هذه الرسالة، تبرهن أن المسيح هو أعظم من **الملائكة**. كان هذا ضروريًا، لما عند الشعب اليهودي من نظرة تقدير رفيعة إلى خدمة الملائكة. فالناموس أُعطي بواسطة ملائكة (أع٧: ٥٣؛ غل٣: ١٩)، كما أنه غالبًا ما ظهرت كائنات ملائكية خلال مراحل تاريخ شعب الله قديمًا. لعل من اليهود من كان يحاجج، زاعمًا أن الإنسان بتركه اليهودية من أجل المسيح، يقطع نفسه عن هذا العنصر المهم من تراثه الوطني والديني. لكن الحق يقال إنه بربحه المسيح، يربح من هو أعظم من الملائكة، بمعنيين: أولاً بصفته ابن الله (١: ٤-١٤)، ثم بصفته ابن الإنسان (٢: ٥-١٨).

إن المسيح **صار أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسمًا أفضل منهم**. وهذا يتكلم أولاً عن تفوق مكتسب، ثم عن تفوق أصيل.

التفوق المكتسَب ناتج من قيامته، وصعوده وترفيعه ربًّا ومسيحًا. ففي التجسد، وُضع قليلاً عن الملائكة، من أجل ألم الموت (٢: ٩)، لكن الله رفّعه وتوّجه على عرش المجد الأسمى.

أما تفوقه الأصيل، فيرتبط بعلاقته الأزلية بالله من حيث هو ابنه. إن **الاسم الأفضل** هو اسم **الابن**.

١: ٥ يقتبس الكاتب الآن آيتين من العهد القديم تُظهران أن المسيّا هو ابن الله. أولاً، في المزمور ٢: ٧، يخاطبه الله بوصفه ابنه: «**أنت ابني. أنا اليوم ولدتك**». فالمسيح من ناحية، هو الابن الوحيد منذ الأزل. لكنه من ناحية أخرى، وُلد بالتجسد. ومن ناحية ثالثة أيضًا، نرى أنه حصلت ولادته بالقيامة: إنه «البكر من الأموات» (كو١: ١٨). لقد استخدم بولس هذه الآية في المجمع في أنطاكية بيسيدية، وطبّقها على مجيء المسيح الأول (أع١٣: ٣٣).

لكن الفكرة الرئيسية هي أن الله لم يخاطب قطّ ملاكًا كأنه ابنه. إن الملائكة، بشكل جماعي، مذكور عنهم أنهم أبناء الله (أي١: ٦؛ مز٨٩: ٦)، لكن المعنى هنا لا يتعدى كونهم مخلوقات. أما عندما يوصف الرب يسوع بأنه ابن الله، فهذا يعني أنه مساوٍ لله.

والآية الثانية هي من ٢ صموئيل ٧: ١٤. «**أنا أكون له أبًا وهو يكون لي ابنًا**». ومع أنه قد يبدو أن الكلمات

تشير إلى سليمان، إلا أن الروح القدس يربطها هنا بالرب يسوع، الابن الأعظم لداود. والحجة هنا أيضًا هي أن الله لم يتكلّم قطّ بهذا الشكل عن أي ملاك.

١: ٦ إن الناحية الثالثة التي يظهر فيها المسيح تفوقه على الملائكة هو أنه غرض عبادتهم، في حين أنهم هم خدامه ومرسلوه. ولبرهان هذا الأمر، يقوم الكاتب باقتباس تثنية ٣٢: ٤٣ (حسب المخطوطة اليونانية القديمة *Septuagint* ومخطوطات البحر الأحمر)، ومزمور ٩٧: ٧ (كما وردت في حاشية بعض الترجمات).

إن الآية من سفر التثنية تتطلع قُدمًا إلى الوقت **متى أدخل البكر إلى العالم ثانية**. إنها تشير، بكلمة أخرى، إلى مجيء المسيح ثانية. عندئذ ستسجد له **الملائكة** جهارًا، وهذا لا يتحمل معنى آخر سوى كونه الله. فكل عبادة موجّهة لغير الإله الحقيقي، ما هي إلا ضرب من الوثنية. بيد أن الله يأمر هنا الملائكة بضرورة السجود للرب يسوع.

إن لفظة **البكر**، قد تعني الأول من الناحية الزمنية (لو ٢: ٧)، أو الأوّل في المرتبة أو الكرامة (مز ٨٩: ٢٧). وقد ورد ذكرها هنا بهذا المعنى الأخير، كما هي الحال أيضًا في رومية ٨: ٢٩ وكولوسي ١: ١٥، ١٨.

١: ٧ الله أيضًا هو الصانع ملائكته رياحًا (أو أرواحًا) **وخدامه لهيب نار**، وذلك من باب مفارقتهم مع ابنه المتفوق على الكل. إنه هو خالق **الملائكة**، وهو الذي يوجّههم. **وهم يطيعون أمره بسرعة الريح وبتوهج النار.**

١: ٨ في هذه الآية مجموعة من الأمجاد يظهر فيها الابن أنه لا يُضاهى. أولاً، يخاطبه الله بصفته الله. ففي المزمور ٤٥: ٦، يحيّي الله الآب المسيح بهذه الكلمات: «**كرسيك يا الله إلى دهر الدهور**». فتبرز مرة أخرى ألوهية المسيح بشكل لا لَبس فيه، والحجة المعروضة مصدرها النص العبراني التقليدي. (يضم كل إصحاح من الرسالة إلى العبرانيين، اقتباسًا واحدًا، على الأقل، من العهد القديم).

وهو أيضًا الملك الأزلي، فعرشه يبقى **إلى دهر الدهور**، وملكوته حقًا "سوف يمتد من شاطئ إلى شاطئ إلى أن تكتمل الأقمار ولا تعود تنقص بعد".

إنه الملك البار، يصوره المرنم حاملاً **قضيب استقامة**، وهو أسلوب شعري للتعبير عن أن المَلِك يحكم بكلّ برّ ونزاهة.

١: ٩ تظهر استقامته الشخصية في كونه أحب البر وأبغض الإثم بشكل مستمر ودائم. وهذا يشير، بشكل رئيسي إلى فترة الثلاث والثلاثين سنة التي عاشها على الأرض، حين لم تتمكن عين الله الفاحصة من رؤية أي عيب في خُلُقه، أو أي شيء من التقصير في سلوكه. لقد برهن أهليته لتسلُّم المُلك.

مسحه الله بزيت الابتهاج أكثر من شركائه. وهذا يعني أنه قد وهب المسيح مركز الصدارة فوق سائر الكائنات الأخرى. **الزيت**، قد يرمز هنا إلى الروح القدس، فالمسيح أيده الروح بلا حساب، أكثر من الجميع (يو ٣: ٣٤). وكلمة **شركائه** تشير إلى الذين كانوا على علاقة به، لكن هذا لا يعني أنهم كانوا على قَدَم المساواة معه. من المحتمل أن تكون الملائكة في عداد أولئك القوم، لكن الأرجح أن تكون الإشارة هنا إلى إخوته اليهود.

١: ١٠ الرب يسوع المسيح هو خالق السماء والأرض. ويبرهن على ذلك المزمور ١٠٢: ٢٥-٢٧، حيث يرفع المسيح الدعاء التالي: «يا إلهي، لا تقبضني» (ع٢٤). إن هذه الصلاة في جثسيماني، في الجلجثة، استجابها الله الآب: «في البدء أسست الأرض والسماوات هي عمل يديك». والجدير ذكره هنا أن الله، في العدد العاشر، يخاطب ابنه بصفته **الرب** أي يهوه. إذًا، لا مفر من الخلاصة التالية: يسوع العهد الجديد هو نفسه يهوه العهد القديم.

١: ١١، ١٢ تُطالعنا في هذين العددين مفارقة بين زوال الخليقة، وسرمدية الخالق وديمومته. فأعماله **تبيد** لكنه - تبارك اسمه - يبقى. فالشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار والأنهار، هذه جميعها قد تظهر كأنها باقية، لكنها في الواقع تضم في ثناياها عناصر الزوال والاندثار. يشبهها المرنم برداء يبلى كمرحلة أولى، ثم يطوى على اعتبار أنْ لا نفع يُرجى منه، وبعد ذلك يتم تغييره ليستبدل به شيء أفضل.

تطلع في الخارج إلى سلسلة من الجبال المكلّلة بالثلوج أو إلى منظر الشمس المجيد عند المغيب، أو إلى السماء المرصّعة بالنجوم، ثم انصت إلى نغمة العظمة التي توحي بها الكلمات التالية: «**وكرداء تطويها فتتغير، ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى**».

١: ١٣ ثمة اقتباس آخر (مز ١١٠: ١) حيث تتبرهن حقيقة تفوّق الابن وسموّه. فالله في ذلك المزمور، يخاطب المسيح بالقول: «**اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك**». ثم يُطرح السؤال: لمن من الملائكة قال الله قط شيئًا من هذا الكلام؟ والجواب بالطبع هو أنه لم يوجّهه إلى أي واحد منهم.

إن الجلوس عن **يمين الله**، يعني مقام الكرامة في أعلى مستوياتها، والقدرة اللامحدودة، وإن وضع الأعداء تحت القدمين، يعني إخضاع الكون بأسره، والتسلط عليه كله.

١: ١٤ إن مهمة الملائكة لا تقضي بأن يحكموا، بل أن يخدموا. إنهم كائنات روحية خلقها الله **لخدمة العتيدين أن يرثوا الخلاص**. وقد نفهم هذا من زاويتين: أولاً، يقوم الملائكة بخدمة مَن لم يهتدوا بعد؛ وثانيًا، إنهم يخدمون أولئك الذين خلصوا من عقاب الخطية وسلطتها، لكنهم لم يخلصوا بعد من وجودها، أي يخدمون جماعة المؤمنين الذين ما يزالون على الأرض. هذا يعني وجود "ملائكة حراس". لماذا نندهش أمام هذا الحق؟ من المؤكد أن ثمة أرواحًا شريرة تحارب مختاري الله من دون كلل أو ملل (أف٦: ١٢). فهل ما يدعو إلى العجب أن توجد، بالمقابل، ملائكة أطهار يسهارون على المدعوين إلى **الخلاص** ويحرسونهم؟

لكن نحتاج إلى الرجوع إلى النقطة الرئيسية في النص، لا مسألة وجود الملائكة الحراس، بل حقيقة أن الملائكة هم أدنى مستوى من ابن الله، تمامًا كما أن العبيد، الخدام، هم أدنى مستوى من ملك الكون بأسره.

٢: ١ لقد أكمل الكاتب، لتوّه، حجته عن أن المسيح لكونه ابن الله هو أسمى من الملائكة بما لا يقاس. وقبل شروعه بإظهار أن المسيح يسمو بصفته ابن الإنسان أيضًا، يتوقف قليلاً ليحذرنا من مغبة الانحراف والانجراف بعيدًا عن رسالة الإنجيل. وهذا التحذير هو الأول من جملة التحذيرات الخطيرة في هذه الرسالة. ففي ضوء عظمة إلهنا الوهاب، وعظمة عطيته المجيدة،

ينبغي للذين يسمعون رسالة الإنجيل أن **يتنبّهوا إليها أكثر**، لأنه يبرز دائمًا خطر الزيغان والشرود عن شخص الرب والرجوع إلى ديانة من الصور أو الظلال. وهذا يعني **الارتداد**، أي الخطية التي لا مجال للتوبة عنها.

٢: ٢ لقد سبق وذكرنا أن اليهود كانوا يعلّقون أهمية قصوى في تاريخهم على خدمة الملائكة. ولعل عملية إعطاء الناموس بمحضر ربوات من الملائكة، تشكل الحدث البارز هنا (تث٣٣: ٢؛ مز ٦٨: ١٧). إذًا، إن الناموس **تكلم به ملائكة** وإنه كان فعالاً، وأن **كل** مخالفة له قد تمت معاقبتها بالعدل: هذه أمور لا جدال فيها.

٢: ٣ أما الآن، فتتحول الحجة من الأقل إلى الأعظم. إن كان الذين كسروا الناموس قد عوقبوا، فكيف سيكون مصير الذين **يهملون** الإنجيل؟ الناموس يخبر الناس بما ينبغي لهم فعله أما الإنجيل، بالمقابل، فيخبر الناس بما فعله الله لأجلهم. من طريق الناموس، تحصل معرفة الخطية؛ أما الإنجيل، فيعرفنا بالخلاص.

إن إهمالنا خلاصًا هذا مقداره، هو أخطر من أمر تعدي الناموس. فالناموس أعطاه الله بواسطة الملائكة لموسى ومنه إلى الشعب. أما الإنجيل فتكلم به مباشرة الرب يسوع نفسه. وليس هذا فحسب، لكنه **تثبت** للمسيحيين الأولين من خلال الرسل والآخرين الذين سمعوا المخلص.

٢: ٤ الله نفسه برهن صحة الرسالة بواسطة **آيات وعجائب وقوّات متنوعة ومواهب الروح القدس**. الآيات هي تلك المعجزات التي أجراها الرب والرسل، والمحتوية على حقائق روحية. مثلاً، لقد شكلت حادثة إشباع الخمسة آلاف (يو٦: ١-١٤) الأساس للخطاب الذي تلا عن خبز الحياة (يو٦: ٢٥-٤٩). **العجائب**، كانت صنفًا من المعجزات التي يقصد منها جعل المشاهدين يندهشون، وإقامة لعازر من الموت توضح لنا هذا (يو١١: ١-٤٤). كما تشير **القوات المتنوعة** إلى تلك القدرة الخارقة التي تناقض النواميس الطبيعية. أما **مواهب الروح القدس**، فكانت من صنف التأهيل الخاص المُعطى لرجال معيّنين للتكلم والتصرف بشكل يفوق تمامًا إمكانياتهم الطبيعية.

كان القصد من جميع هذه المعجزات هو الشهادة لصحة الإنجيل، ولا سيّما أمام الشعب اليهودي الذي تعوّد أن يطلب آية قبل أن يؤمن. ثمة بعض الأدلة على أن الحاجة إلى عجائب مثبّتة، قد زالت مع توافر العهد الجديد بشكل مكتوب. لكن من المستحيل البرهان القاطع على أن الروح القدس لا يكرر أبدًا هذه المعجزات في أجيال أخرى.

تُظهر العبارة **حسب إرادته** أن الروح القدس يعطي هذه القوى الخارقة كما يشاء. إنها مواهب بسلطان إلهي، وليس باستطاعة الناس طلبها، أو الحصول عليها استجابة لصلاة. لأن الله لم يسبق له أن وعد بها جميع الناس.

٢: ٥ في الأصحاح الأول، رأينا أن المسيح هو أعظم من الملائكة بصفته ابن الله. أما الآن، فسيظهر تفوقه من حيث هو ابن الإنسان. يتّضح لنا من خلال تسلسل الأفكار في هذه الرسالة، أن الذهن اليهودي كان يستبعد تمامًا فكرة تجسد المسيح، وكانوا ينظرون إلى عملية تنازله بشيء من الخجل. فبالنسبة إلى اليهود لم يكن يسوع أكثر من مجرد إنسان، ويشغل بالتالي مقامًا أدنى من الملائكة. لكن الأعداد التالية تظهر أن يسوع حتى وهو إنسان كان أفضل من الملائكة.

يشار أولاً إلى أن الله لم يقرِّر أن يسلط **الملائكة** على **العالم العتيد**. وهذا العالم يعني هنا العصر الذهبي، عصر السلام والازدهار الذي طالما جاء الأنبياء على ذكره، والذي نتحدث عنه نحن بأنه المُلك الألفي.

٢: ٦ في هذا العدد يقتبس الكاتب المزمور ٨: ٤-٦ لإظهار أن التسلط على الأرض قد أُعطي للإنسان، لا للملائكة. فالإنسان وإن كان وضيع القيمة يبقى الله **يذكره ويفتقده**.

٢: ٧ الإنسان بحسب سلّم الخليقة، أُعطي مركزًا أقل من **الملائكة**. فهو أكثر محدودية منهم من جهة المعرفة، والحركة، والقدرة. كما إنه عُرضة للموت. لكن الإنسان، بحسب مقاصد الله مكتوب له أن **يكلَّل بالمجد والكرامة**. إن محدودية جسده وذهنه ستُنزع إلى حد كبير، وهكذا سيرفّع على الأرض.

٢: ٨ كل شيء سيُجعل تحت سيطرة الإنسان في ذلك اليوم العتيد: الملائكة، وعالم الحيوانات والطيور، ونظام الكواكب. وفي الواقع، سيكون كل جزء من الكون المخلوق تحت سيطرته.

كان هذا قصد الله الأساسي للإنسان. فقد خاطب الإنسان الأول بالقول: «املأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض» (تك١: ٢٨).

لماذا إذًا، **لسنا نرى الكل بعد مُخضَعًا له؟** والجواب هو أن الإنسان فَقَدَ سلطته بسبب خطيته. إن خطية آدم هي التي جلبت اللعنة على الخليقة. فتحوّلت الكائنات الطيّعة القابلة للاقتياد إلى متوحشة، والأرض صارت تنبت شوكًا وحسكًا. لقد ضعفت سلطة الإنسان على الطبيعة بالخطية والمعصية، فغَدَت محدودة النطاق.

٢: ٩ ولكن، عندما يعود ابن الإنسان ليملك على الأرض، ستعود إلى الإنسان سلطته. **فيسوع**، إنسانًا، سيرد ما فقده آدم، وأكثر من ذلك أيضًا. إذًا، مع أننا لا نرى كل شيء تحت سيطرة الإنسان في الوقت الحاضر، لكننا **نرى يسوع**، وفيه نجد المفتاح لحكم الإنسان النهائي على الأرض.

لقد **وُضِع قليلاً عن الملائكة**، وذلك لفترة قصيرة، وبالتحديد على مدى الثلاث والثلاثين سنة لخدمته الأرضية. إن نزوله من السماء إلى بيت لحم، فجثسيماني، فجبا، فالجلجثة، ثم إلى القبر، يشكّل مراحل تذلله. لكنه الآن **مكلَّل بالمجد والكرامة**. لقد جاء ترفيعه نتيجة لآلامه ولموته، إذ أفضى به الصليب إلى التاج.

كان قصد الله بالنعمة من كل ذلك أن **يذوق المسيح الموت لأجل كل واحد**. فالمخلِّص مات بصفته الممثِّل لنا والبديل عنا؛ أي أنه مات كإنسان، ومات لأجل الإنسان. لقد حمل في جسده على الصليب كل دينونة الله على الخطية، حتى لا يعود واجبًا على الذين يؤمنون به أن يحملوها البتّة.

٢: ١٠ إن إعادة الإنسان إلى تسلطه من خلال اتّضاع المخلِّص، لهو أمر ينسجم تمامًا مع سجايا الله البار. لقد أفسدت الخطية نظام الله، فبات من الضروري التعامل معها بشكل عادل قبل أن ينبثق نظام من الخراب والفساد. ففي ضوء طبيعة الله القدوسة، كان ينبغي للمسيح أن يتألم، ويسفك دمه، ويموت لكي يرفع الخطية.

لقد وصف المخطّط الإلهي الحكيم بأنه **الذي من**

أجله الكل وبه الكل. إنه أولاً الغاية، القصد من الخليقة كلها: فالكل صُنع لمجدة ولمسرته. لكنه أيضًا مصدر الخليقة كلها أو أصلها: فمن دونه لم يُصنع أي شيء.

كان قصده العظيم أن **يأتي بأبناء كثيرين إلى المجد.** فعندما نتأمل في حقارتنا، يصعقنا أن نفكر في قبوله أن يكلِّف نفسه العناء من أجلنا. لقد دعانا إلى مجده الأبدي، فقط لأنه إله كل نعمة.

ما هو ثمن تمجيدنا؟ كان **رئيس إيماننا يحتاج إلى أن يُكمَّل بالآلام.** فالرب يسوع كان يخلو من أية خطية في ما يتعلق بطبيعته الأدبية. إذًا، فتكميله من هذا القبيل لم يكن واردًا البتة. لكن، كان ينبغي له أن يكمَّل من حيث هو مخلصنا. كان عليه أن يعاني كل ما تستحقه خطايانا من عقاب، حتى يتسنى له أن يحصِّل لنا فداء أبديًّا. فخلاصنا لا يتم من طريق حياته الطاهرة البارة، بل كان موته البديلي ضرورة حتمية.

إن الله أوجد طريقًا لتخليصنا يليق بشخصه المبارك: لقد أرسل ابنه الوحيد ليموت عوضًا عنا.

٢: ١١ تُشدِّد الآيات الثلاث التالية على كمال ناسوت المسيح. فاستعادة السلطة التي فقدها آدم، تقتضي برهانًا على أن المسيح هو إنسان حق. لذلك يتم عرض الحقيقة: **لأن المقدِّس، والمقدَّسين جميعهم من واحد،** أي أنهم جميعهم أصحاب طبيعة بشرية. أو كما أوردت إحدى الترجمات: "لهم جميعهم أصل واحد"، بمعنى أنهم في بشريتهم لهم جميعًا إله واحد وآب واحد.

المسيح هو **المقدِّس،** أي أنه يفصل أُناسًا من العالم ويفرزهم لله. طوبى لجميع أولئك الذين يفرزهم هكذا.

أما الشخص أو الشيء **المقدَّس** فهو ما قد تم وضعه جانبًا، أو فصله عن الاستخدامات العادية، ليكون مُفرَزًا لله، ولعمل مسرته. والتدنيس هو نقيض التقديس.

يذكر الكتاب المقدس أربعة أنواع من التقديس: التقديس السابق للاهتداء، التقديس في المقام، التقديس العملي، التقديس الكامل. ورد ذكر هذه الأشكال من التقديس في نهاية الرسالة الأولى إلى تسالونيكي، وبالتحديد في ٥: ٢٣ التي تنبغي قراءتها بشكل دقيق.

على القارئ أن ينتبه إلى النصوص المتنوعة في الرسالة إلى العبرانيين، والتي تتناول موضوع التقديس، ويسعى، في كل مرة، إلى أن يقرِّر ما هو نوع التقديس المذكور.

لا يستحي ربنا أن يتحدث عن أتباعه **كأخوة** له، لأنه أصبح إنسانًا حقًا. هل يُعقل أن السيد الأزلي على الكون يصبح إنسانًا، وبالتالي يتحد بهذا الشكل الحميم مع خلائقه حتى يدعوهم إخوة؟

٢: ١٢ يطالعنا الجواب في المزمور ٢٢: ٢٢ حيث نسمعه يقول: «**أُخبر باسمك إخوتي**». كما أن هذه الآية نفسها تصوِّره متشبِّهًا بشعبه في عبادة مشتركة: «**وفي وسط الكنيسة أسبحك**». كان وهو يعاني الموت يتطلع قُدُمًا إلى اليوم الذي فيه سيقود جميع المفديين في رفع التسبيح لله الآب.

٢: ١٣ كذلك يتم اقتباس آيتين أخريين من الأسفار العبرانية المقدسة بغية برهان ناسوت المسيح. ففي إشعياء ٨: ١٧ (حسب *Septuagint*)، يتكلم عن وضع ثقته بالله أو **توكله** عليه. إن الوثوق ضمنيًا بيهوه يشكل إحدى أعظم العلامات على الناسوت الحقيقي. ثم في إشعياء ٨: ١٨، مذكور أن الرب نطق بالقول: «ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله». والفكرة هنا هي أنهم أعضاء عائلة مشتركة، ويعترفون بأب واحد.

٢: ١٤ الذين يعتبرون أن اتضاع ابن الإنسان هو أمر معيب ومخزٍ، هم مدعوون الآن إلى التأمل في أربع بركات هامة مصدرها آلام السيد.

الأولى هي: إبادة إبليس. فكيف حصل ذلك؟ لقد، أعطى الله أولاده للمسيح لكي يقدّسهم، ويخلّصهم، ويحرّرهم. وبما أن هؤلاء الأولاد طبيعة بشرية، اتخذ الرب يسوع أيضًا جسدًا من لحم ودم. لقد وضع جانبًا كل مظهر خارجي لألوهيته، وهكذا حجب لاهوته بجسد إنساني.

لكنه لم يتوقف عند حد بيت لحم. بل كما تقول كلمات الترنيمة: "كلّ درب الجلجثة مشى عنّي.. لأنه هكذا أحبني".

لقد أباد بموته ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس. والإبادة هنا، تعني فقدان الخير والسعادة، لا فقدان الكيان. إنها تعني الإلغاء أو إبطال الأمر. فالشيطان ما يزال يقاوم بشدّة مقاصد الله في العالم، لكنه أصيب عند الصليب بجرح مميت. له زمان قليل بعد، ومصيره محتوم. إنه عدو مهزوم.

بأي معنى كان للشيطان سلطان الموت؟ ربما كان له ذلك في مطالبته بالموت. إن الخطية دخلت لأول مرة إلى العالم من طريق الشيطان، وقد حتّمت قداسة الله أن يكون الموت من نصيب جميع الذين يخطئون. وهكذا باستطاعة الشيطان، لكونه خصمًا، أن يطالب بضرورة دفع الجزاء.

كذلك تبرز قوّته في البلاد الوثنية، من خلال قدرة عملائه السحرة على التلفظ بلعنة على شخص ما، الأمر الذي يؤدي إلى موته من دون أي سبب طبيعي.

لا يحتوي الكتاب المقدس على أي تلميح يفيد أن باستطاعة الشيطان التسبّب بموت المؤمن، من دون سماح الله (أي٢: ٦). فهو إذًا عاجز عن تعيين موعد موت المؤمن. لكن أحيانًا يُسمح له بقتل المؤمن بأيدي أناس أشرار. ويسوع نبّه تلاميذه إلى ضرورة عدم الخوف من الذين يقتلون الجسد، بل دعاهم إلى أن يخافوا بالحري من الله الذي يقدر أن يلقي النفس والجسد كليهما في جهنم (مت١٠: ٢٨).

في العهد القديم، مضى كل من أخنوخ وإيليا إلى السماء من دون أن يموتا. لقد حصل هذا بالفعل لأنهما، لكونهما مؤمنين، قد حُسبا أنهما ماتا في موت المسيح الذي كان آنذاك طي المستقبل.

وعند مجيء المسيح في الاختطاف، سوف يذهب جميع المؤمنين الأحياء إلى السماء من دون موت. لأن هؤلاء أيضًا سيُعفون من الموت بسبب موت المسيح الذي أرضى قداسة الله من جهتهم. وللمسيح المُقام الآن، مفاتيح الهاوية والموت (رؤ ١: ٨)، بمعنى أن سلطته عليهما كاملة.

٢: ١٥ إن البركة الثانية العائدة إلى اتّضاع المسيح، هي التحرر من الخوف. فقبل الصليب، كان الخوف من الموت يستعبد الناس طوال حياتهم. يحتوي العهد القديم، من حين إلى آخر، على بعض الومضات حول الحياة بعد الموت، بيد أن الانطباع العام يوحي بالريب والرعب والظلام، لكن ما كان مُبهَمًا في ذلك الوقت، بات واضحًا الآن، لأن المسيح أنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل (٢تي١: ١٠).

٢: ١٦ إن ثالث بركة عظيمة هي بركة التكفير عن الخطية. فالرب، بمجيئه إلى العالم، لم يكن يمسك الملائكة بل يمسك نسل إبراهيم. الفعل المستخدم هنا يفيد معنى المساعدة والإنقاذ. كما أن نسل إبراهيم قد يعني

سلالة إبراهيم الجسدية، أي العبرانيين، أو قد يشير إلى النسل الروحي، أي المؤمنين في كل عصر. لكن النقطة الهامة هي أنهم بشر، لا كائنات ملائكية.

٢: ١٧ لذا، كان **ينبغي أن يشبه أخوته في كل شيء**. كان ناسوته حقيقيًا وكاملاً. لقد اختبر رغبات الناس، وأفكارهم ومشاعرهم، وعواطفهم، وأحاسيسهم باستثناء أمر واحد مهم، وهو أنه كان بلا خطية. كانت بشريته مثالية ونموذجية. أما بشريتنا فقد استولى عليها عنصر غريب، ألا وهو الخطية.

إن بشريته الكاملة تُأهله ليكون رحيمًا **ورئيس كهنة أمينًا في ما لله**. وباستطاعته أن يكون رحيمًا نحو الإنسان وأمينًا نحو الله. فإن مهمته الرئيسية بوصفه **رئيس كهنة** تقضي أن **يكفّر** (أو يغطي كليًّا) **خطايا الشعب**. ولأجل تتميم ذلك، قام بما لم يعمله، ولا يقدر على أن يعمله، أي رئيس كهنة آخر: بذل نفسه ذبيحة بلا خطية، إذ مات طوعًا عوضًا عنا.

٢: ١٨ البركة الرابعة هي عون **للمجرَّب**. فبما أنه **قد تألم مجرَّبًا، يقدر أن يعين الذين يجتازون في تجارب**. إذًا، باستطاعته أن يساعد الآخرين لأنه هو نفسه اختبر التجارب.

ثمة فكرة هامة يجب أن نضيفها وهي أن الرب يسوع كان **مجرَّبًا** من الخارج ولم يجرَّب قط من الداخل. فالتجربة في البرية تبينه مجربًا من الخارج. لقد ظهر له الشيطان وحاول استمالته بواسطة عوامل خارجية. لكن المخلِّص لم يجرَّب قطّ ليخطئ من طريق الشهوات والميول الداخلية، إذ لم يكن فيه أية خطية ولا أي شيء يتجاوب مع الخطية. لقد **تألم مجرَّبًا**. نحن يؤلمنا أن نقاوم التجربة، أما هو فقد آلمه أن يجرَّب.

ج. *المسيح أعظم من موسى ومن يشوع* (٣: ١-٤: ١٣).

٣: ١ كان موسى واحدًا من أعظم الأبطال القوميين عند العبرانيين. لذا كانت الخطوة الرئيسية الثالثة في استراتيجية الكاتب أن يبرهن تفوق المسيح اللامحدود على موسى.

فالرسالة موجَّهة إلى **الإخوة القديسين شركاء الدعوة السماوية**. والمؤمنون الحقيقيون جميعهم هم في مقامهم قديسون، ويجدر بهم أن يكونوا قديسين في حياتهم العملية. إذًا، في المسيح هم قديسون وفي أنفسهم ينبغي لهم أن يكونوا قديسين.

إن دعوتهم السماوية تختلف عن دعوة الشعب القديم الأرضية. فقديسو العهد القديم، كانوا مدعوين إلى اقتناء بركات مادية في أرض الموعد (مع أنه كان لديهم رجاء سماوي أيضًا). أما في عصر الكنيسة، فالمؤمنون هم مدعوون إلى نوال بركات روحية في السماويات الآن، وإلى ميراث سماوي في المستقبل.

لاحظوا يسوع. إنه يستحق تمامًا أن نتأمل فيه بوصفه **رسول اعترافنا ورئيس كهنته** (أي الرسول والكاهن الأعلى في الإيمان الذي نعترف به) إن اعترافنا به **رسولاً**، يعني أنه يمثل لنا الله. بالمقابل، إن اعترافنا به **رئيس كهنة** يعني أن يمثلنا أمام الله.

٣: ٢ من الواضح أن ثمة ظاهرة تشابه بين المسيح وموسى: كان المسيح أمينًا لله، تمامًا **كما كان موسى** أيضًا في بيت الله. لا يقصد بالبيت هنا خيمة الاجتماع وحسب، بل الدائرة بأكملها، حيث كان موسى يمثل مصالح الله. إنه بيت إسرائيل، شعب الله الأرضي في القديم.

٣: ٣ لكن الشبه ينتهي في هذه الآية. فالرب يسوع يُظهر من جميع النواحي الأخرى تفوقًا لا جدل حوله. إن الرب

يسوع هو أهل لمجد أكثر من موسى، بمقدار ما لباني البيت من كرامة أكثر من البيت نفسه. كان الرب يسوع باني بيت الله، في حين لم يكن موسى سوى جزء من البيت.

٣: ٤ ويسوع أعظم من موسى لأنه الله. يجب أن يكون لكل بيت بانٍ، ولكن باني الكل هو الله. نفهم من يوحنا ١: ٣، وكولوسي ١: ١٦، وعبرانيين ١: ٢، ١٠؛ أن الرب يسوع كان العامل الفعال في الخلق. إذًا لا مفر من الاستخلاص أن يسوع المسيح هو الله.

٣: ٥ كما أن المسيح، لكونه ابنًا، هو أعظم من موسى. **كان موسى أمينًا... كخادم** في كل بيت الله (عد١٢: ٧) أن يدل الناس على المسيّا المنتظر. لقد شهد للأمور العتيد أن يُتكلَّم بها، أي إلى البشارة المختصة بخلاص المسيح. وهذا ما دعا يسوع إلى القول في إحدى المناسبات: «لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني» (يو٥: ٤٦). كما أن المسيح في حديثه مع تلميذيه على طريق عمواس «ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب» (لو٢٤: ٢٧).

٣: ٦ **وأما المسيح**، فكان أمينًا على بيت الله **كابن**، لا كخادم. والبنوية، في حالته هذه، تعني التساوي مع الله. إن بيت الله هو بيته.

وفي هذه الآية يشرح الكاتب ما هو المقصود اليوم ببيت الله. إنه مؤلَّف من جميع المؤمنين الحقيقيين بالرب يسوع: «وبيته نحن **إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة إلى النهاية**». قد يظهر أول وهلة أن هذا الكلام يشير ضمنًا إلى أن خلاصنا هو وقف على مدى ثباتنا. وفي هذه الحال، يكون الخلاص ثمرة مواظبتنا، لا نتيجة لعمل المسيح الكامل على الصليب. فالمعنى المقصود هو أننا نبرهن كوننا بيت الله إن كنا نثبت. فالمواظبة هي برهان حقيقة واقعة. إن الذين يفقدون ثقتهم بالمسيح ومواعيده، ويرجعون إلى الطقوس وممارسة الشعائر، يظهارون أنهم لم يختبروا الولادة الجديدة قطّ. والتحذير التالي هو موجَّه ضد هذا النوع من الارتداد.

٣: ٧ عند هذا الحد، يُقحم الكاتب تحذيره الثاني في الرسالة: تحذيرًا من قساوة القلب. لقد حصل هذا للأمة القديمة في البرية، وقد يتكرر مرة أخرى. إذا، ما يزال **الروح القدس** يتكلم من خلال المزمور ٩٥: ٧ – ١١، تمامًا كما هي الحال أول ما أوحى بهذه الكلمات: «**اليوم إن سمعتم صوته**».

٣: ٨ كلّما تكلّم الله، ينبغي لنا أن نكون مسرعين في الاستماع. أن نشك في كلمته يعني أننا ندعوه كاذبًا ونجلب على نفوسنا غضبه. وهذا ما كان عليه تاريخ تلك الأمة في **القفر**. كان سجلاً قاتمًا من التذمر، والشهوة، وعدم الإيمان، والتمرد. ففي رفيديم مثلاً، تشكّوا من افتقارهم إلى الماء، وشككوا في حضور الله في وسطهم (خر١٧: ١-١٧). وفي برية فاران، ومع عودة الجواسيس غير المؤمنين بتقرير مشحون بالشرّ زاخر بالإحباط والشك (عد ١٣: ٢٥-٢٩)، قرّر الشعب العودة إلى مصر، أرض عبوديتهم (عد ١٤: ٤).

٣: ٩ لقد أثار هذا سخط الله الشديد، فحكم على الشعب أن يتيه في البرية على مدى أربعين سنة (عد١٤: ٣٣، ٣٤). ومن جملة أولئك الجنود الشباب الخارجين من مصر لم يتمكن سوى اثنين فقط من دخول أرض كنعان: كالب ويشوع (عد ١٤: ٢٨-٣٠).

والجدير ذكره أنه كما قضى بنو إسرائيل **أربعين سنة** في البرية، هكذا تعامل روح الله مع تلك الأمة على مدى نحو أربعين سنة بعد موت المسيح. لكن الأمة قسّت قلبها حيال رسالة المسيح. وفي العام ٧٠م، تم خراب أورشليم وتشتت الشعب بين الأمم.

٣: ١٠ إن غضب الله على إسرائيل في البرية هو الذي أدى إلى هذا التوبيخ القاسي. لقد اتهمهم بأنهم ميالون إلى الزيغان عنه، مع تجاهل عمدي **لسبله**.

٣: ١١ وهكذا أقسم في **غضبه** أنهم لن **يدخلوا راحته**، أي أرض كنعان.

تعرض علينا الأعداد ١٢-١٥ التطبيق الذي استخلصه لنا الروح القدس من اختبار إسرائيل. وهنا أيضًا، كما في كل مقطع من الرسالة إلى العبرانيين، يخاطب القراء على أنهم إخوة. وهذا لا يعني أنهم كانوا جميعهم مسيحيين حقيقيين.

إذًا، على كل الذين يعترفون بأنهم مؤمنون أن يحترزوا باستمرار من **قلب شرير بعدم إيمان**، الأمر الذي قد يجعلهم يرتدّون عن **الله الحي**. إنه تهديد مستمر.

٣: ١٣ تقتضي الحاجة أن نعظ بعضنا بعضًا. فشعب الله، ولا سيّما في أيام الصعوبات والنكبات، يحتاجون إلى أن يحث أحدهم الآخر على عدم التخلي عن المسيح من أجل ديانات تعجز عن معالجة الخطية بفعالية.

ولنلاحظ أن هذه المناشدة ليست وقفًا على فئة معينة من الخدام، بل هي واجب على الإخوة جميعهم. كما يجب أن تستمر ما دام الوقت يدعى **اليوم** أي ما دامت مستمرة هبة الله للخلاص بالنعمة بواسطة الإيمان. «**اليوم**» هو الوقت المقبول، إنه يوم الخلاص.

يأتي السقوط نتيجة **للتقسّي بغرور الخطية**. فالخطية غالبًا ما تظهر بشكل جميل. إنها تحاول إبعادنا عن عار المسيح وتقلّل من مستويات القداسة المطلوبة وتغرينا بطقوس تستهوى الحواس التي تفتن بالجمال، مع الوعد بربح أرضي، لكنها متى اقتُرفت فلا مظهر يُضاهي شناعتها. إنها تترك الإنسان من دون غفران خطايا وبلا رجاء بعد القبر، ولا إمكانية للتوبة.

٣: ١٤ من جديد، يتم تذكيرنا بأننا **صرنا شركاء المسيح** إن كنا **نتمسّك** بثقتنا الأولى **ثابتةً إلى النهاية**. غالبًا ما يساء استخدام آيات كهذه لتعليم الإنسان أنه من المحتمل هلاكه بعد أن يخلص. بيد أن تفسيرًا كهذا هو مستحيل، لأن شهادة الكتاب المقدس الواضحة هي أن الخلاص ممنوح مجانًا بنعمة الله، وقد اشتراه المسيح بدمه، ويناله الإنسان بالإيمان، ثم يبرهنه بأعماله الصالحة. إن للإيمان الصحيح صفة الاستمرارية دوامًا. فنحن لا نتمسك ثابتين في سبيل الحفاظ على خلاصنا، بل كبرهان على أننا خلصنا حقًا. الإيمان يشكّل أصل الخلاص، بينما الثبات هو الثمر. من هم **شركاء المسيح**؟ والجواب هو: "إنهم أولئك الذين يبرهنون بثباتهم بالإيمان أنهم ينتمون إليه حقًا".

٣: ١٥ الآن يختم الكاتب التطبيق الشخصي لاختبار الأمة القديمة المحزن، إذ يكرر كلمات المزمور ٩٥: ٧، ٨ «**اليوم، إن سمعتم صوته فلا تقسّوا قلوبكم كما في الإسخاط**». إن هذه المناشدة الصريحة، التي سبق أن وُجّهت مرة إلى الأمة العاصية، هي الآن موجّهة إلى أي شخص قد يُجرّب بالتخلي عن الأخبار السارة للعودة إلى الناموس.

٣: ١٦ يُختتم الأصحاح بعرض تفسير تاريخي موجز لارتداد الأمة. إنه يتتبّع كلاً من عصيان الأمة وإغضابها لله ومعاقبتها، وذلك من خلال طرحه ثلاثة أسئلة، ثم الإجابة عنها. وبعد هذا يعرض الخُلاصة.

العصيان: يعتبر الكاتب أن العصاة هم جميع الذين **خرجوا من مصر بواسطة موسى**، طبعًا باستثناء كالب ويشوع وحدهما.

٣: ١٧ الإغضاب: كان هؤلاء العصاة أنفسهم هم الذين أغضبوا يهوه على مدى **أربعين سنة**. كان عددهم يربو على ست مئة ألف، ولكن مع نهاية الأربعين سنة، أصبحت البرية تحتوي على ست مئة ألف قبر.

٣: ١٨ المعاقبة: إن هؤلاء أنفسهم هم الذين مُنعوا الدخول إلى أرض الموعد، بسبب عصيانهم. ومجرد طرح هذه الأسئلة والإجابة عنها، ينبغي أن يكون له تأثير عميق في كل من تُسوِّل له نفسه أن يترك المسيحيين الحقيقيين الذين كانوا يشكّلون أقلية محتقَرة، من أجل الغالبية الساحقة من الناس الذين لهم مظهر التديّن، لكنهم ينكرون قوة التقوى. هل الغالبية هي دائمًا على حق؟ يظهر لنا، في هذا الأصحاح الذي يتناول تاريخ الشعب القديم، أن اثنين فقط كانا على حق مقابل أكثر من نصف مليون شخص كانوا على خطإ!

يؤكد أ.ب. بيرسون *A.T.Pierson* مدى خطورة خطية بني إسرائيل. وذلك على النحو التالي:

إن عدم إيمانهم يشكل إغضابًا لله على أربعة محاور:

١- فهو يشكل هجمة على صدق الله ويجعله كاذبًا.

٢- كان هجمة على قدرته، إذ حسبه ضعيفًا جدًا وعاجزًا عن إدخالهم الأرض.

٣- كان هجمة على ثباته، لأنهم، وعلى الرغم من عدم إفصاحهم عن ذلك، أشاروا بتصرفهم ضمنًا إلى أنه كان إلهًا متغيرًا، ولم يعد باستطاعته القيام بالمعجزات نفسها التي أجراها سابقًا.

٤- كذلك يشكّل هذا هجمة على أمانة الله الأبوية، وكأنه قام بتشجيعهم على توقع ما لم يكن في نيته تتميمه.

كالب ويشوع، على النقيض، مجّدا الله، إذ حسبا كلمته صادقة بشكل مُطلَق، وقدرته لا متناهية، وموقفه لطيفًا وكريمًا على نحو لا يقبل التغيير، وأمانته مطلقة، إذ لا يعطي رجاء لا يعمل على تحقيقه.

٣: ١٩ الخلاصة: كان **عدم الإيمان** هو الذي منع الأولاد العصاة من دخول أرض الموعد، وعدم الإيمان هذا هو الذي يُبقي الإنسان في كل تدبير، خارج نطاق ميراث الله. إن المغزى من كل هذا واضح: حذار من قلب شرير لا إيمان فيه.

تشكّل الأعداد التالية أحد أصعب النصوص في الرسالة بأكملها. وثمة اتفاق بين قليل من المفسرين حول التسلسل الصحيح الذي يتبعه البحث، مع أن الموضوع العام للتعليم المدرج هنا هو واضح جدًا.

إن موضوع ٤: ١-١٣ هو راحة الله وضرورة الاجتهاد لبلوغها. قد يساعدنا في البداية أن نلاحظ كيف أن الكتاب المقدس يذكر عدة أشكال من الراحة.

١- الله استراح بعد اليوم السادس من الخلق (تك٢: ٢). وهذه الراحة لا تشير إلى التعب الناتج من العمل الدؤوب، بل بالحري إلى المسرّة بما قد تم إنجازه من عمل. كان ذلك راحة الرضى والشعور

بالاكتفاء (تك١: ٣١). ثم جاء دخول الخطية إلى العالم ليقطع هذه الراحة. ومنذ ذلك الوقت والله يعمل بلا انقطاع. لقد قال الرب يسوع: «أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل» (يو٥: ١٧).

٢- كان القصد أن تكون كنعان أرض راحة لبني إسرائيل. لكن معظمهم لم يدخلوا الأرض، كما أن الذين دخلوا، فشلوا في بلوغ الراحة التي قصدها لهم الله. وكنعان هي مستخدمة هنا كرمز أو صورة لراحة الله النهائية والأبدية. إن الكثيرين من الذين لم يتمكنوا من دخول كنعان (مثلاً، قورح، داثان، أبيرام)، يصوِّرون جماعة المرتدين في عصرنا، هؤلاء الذين يخفقون في الحصول على راحة الله، بسبب عدم إيمانهم.

٣- ينعم المؤمنون في أيامنا براحة الضمير، لعلمهم أنه قد تم إيفاء عقاب خطاياهم من خلال عمل الرب يسوع الكامل. إنها الراحة التي وعد بها المخلِّص: «تعالوا إليّ... وأنا أريحكم» (مت١١: ٢٨).

٤- يتمتع المؤمن أيضًا براحة خدمة الرب. إن ما سبق هو راحة الخلاص، أما هذه فهي راحة الخدمة. «احملوا نيري عليكم وتعلموا مني... فتجدوا راحة لنفوسكم» (مت١١: ٢٩).

٥- أخيرًا، هناك الراحة الأبدية التي تنتظر المؤمن في بيت الآب في السماء. إن هذه الراحة المُقبلة والتي هي في الأصل كلمة مشتقة من راحة السبت (عب٤: ٩)، هي الراحة النهائية، وكل ما عداها مقدمات. هذه الراحة تشكِّل الموضوع الرئيسي في عبرانيين ٤: ١-١٣.

٤: ١ لا يظنّن أحد أن الوعد بالراحة قد بطُل. إنه لم يسبق له أن تم بشكل كامل ونهائي؛ فالعرض إذًا ما يزال قائمًا.

لكن على جميع الذين يعترفون أنهم مؤمنون أن يتحققوا أنهم **لا يخيبون** من هذا الهدف. ففي حال كان اعترافهم باطلاً، يبقى خطر الارتداد عن المسيح، من أجل اعتناق نظام ديني معيّن يعجز عن تخليصهم، خطرًا ماثلاً أمامهم.

٤: ٢ لقد سمعنا، عندما **بُشّرنا** بالأخبار السارة عن الحياة الأبدية، بالإيمان بالمسيح. كذلك **بُشّر** بنو إسرائيل أيضًا، إذ بلغتهم الأخبار السارة عن الراحة في أرض كنعان، لكنهم لم ينتفعوا من بشارة الراحة.

ثمة تفسيران ممكنان لفشلهم، استنادًا إلى المخطوطة التي نستخدمها لقراءة العدد الثاني. فبحسب إحدى هذه المخطوطات، والتي تستند إليها ترجمتنا العربية، نرى أن السبب في إخفاقهم هو أن كلمة الخبر **لم تكن ممتزجة بالإيمان في الذين سمعوا.** وبكلمة أخرى، لم يؤمنوا بها لكي يسلكوا على أساسها.

كما تفيد صيغة أخرى ما فحواه أنهم "لم يتحدوا بالإيمان مع أولئك الذين انتبهوا إلى كلمة الخبر هذه". والمعنى المقصود هنا هو أن غالبيتهم لم يتحدوا بالإيمان مع كالب ويشوع، الجاسوسين الذين آمنا بوعد الله.

إذًا، الفكرة الرئيسية في كلتا الحالتين هي أن عدم الإيمان هو السبب الذي منع عنهم الراحة التي أعدها لهم الله في أرض الموعد.

٤: ٣ من الصعب تتبع تسلسل الأفكار في هذا العدد. يبدو أنه يتألّف من ثلاث جمل مستقلة، ولا علاقة لواحدة بالأخرى، إلا أننا نرى خيطًا مشتركًا في كل منها، ألا وهو موضوع راحة الله.

أولاً، نتعلّم أننا **نحن المؤمنون ندخل راحة الله**. فالإيمان هو المفتاح الذي يفتح الباب، وكما ذكرنا آنفًا، أن المؤمنين اليوم هم الذين ينعمون براحة الضمير، لتيقنهم من أنه لن يأتوا إلى دينونة بسبب خطاياهم (يو ٥: ٢٤). كذلك يصح القول إن المؤمنين هم وحدهم الذين يدخلون راحة الله النهائية في المجد. ويرجّح أن هذه الراحة المستقبلة هي المقصودة هنا.

ثم تأتي الجملة الثانية لتعزز الفكرة عينها، إذ تصرح بها من الناحية السلبية: «**كما قال حتى أقسمت في غضبي لن يدخلوا راحتي**» (مقتبسة من مزمور ٩٥: ١١). فكما أن الإيمان يتيح الدخول، هكذا عدم الإيمان يُبقي خارجًا. فنحن الذين نثق بالمسيح، نتيقّن من جهة راحة الله. بالمقابل نجد أن هذا اليقين كان مفقودًا عند بني إسرائيل غير المؤمنين، وذلك بسبب عدم إيمانهم بكلمة الله.

أخيرًا، تساور الجملة الثالثة صعوبة كبيرة في فهمها. إنها تقول: «**مع كون الأعمال قد أُكملت منذ تأسيس العالم**». ربما نحصل على أبسط تفسير، إذ نربطها بالجملة السابقة. فهناك تكلم الله عن الراحة بصيغة المستقبل: «**لن يدخلوا راحتي**». إن هذه الصيغة تشير ضمنًا إلى أن راحة الله ما تزال ممكنة مع أن بعضهم فقدوها من جراء العصيان، كما أن هذه الراحة ما تزال متاحة على الرغم من حقيقة كون **أعمال الله قد أُكملت منذ تأسيس العالم**.

٤: ٤ تبرهن هذه الآية، بالاستناد إلى الكتاب المقدس، أن **الله قد استراح** بعد إكماله عمل الخلق. هذا الغموض الذي يلف عملية تحديد النص المقتبس، لا يدل على جهل الكاتب بالأسفار المقدسة. إذ ما هو إلا أسلوب أدبي لاقتباس آية من سفر لم يكن، في ذلك الوقت، قد قُسِّم بعد إلى أصحاحات أو فصول، وإلى أعداد. وهذه الآيات مصدرها تكوين ٢: ٢ «فاستراح (الله) في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل».

إن صيغة الماضي هي المستخدمة هنا، وعليه قد يظن بعضهم أن راحة الله تتعلق بالتاريخ فقط، لا بالنبوة، حتى إنها لا تنطبق علينا اليوم. وهذا غير صحيح.

٤: ٥ ثم يعود الكاتب ليؤكّد أن الإشارة إلى راحة الله بعد الخلق، لا تعني انتهاء الأمر، إذ يقتبس المزمور ٩٥: ١١ مع تغيير طفيف، حيث تستخدم صيغة المستقبل: «**لن يدخلوا راحتي**» إنه يقول ما معناه: "لا تظنوا في أفكاركم في أن راحة الله تقتصر على ما حصل قديمًا في الإصحاح الثاني من سفر التكوين: تذكروا كيف عاد الله وتحدّث عن راحته كأنها شيء ما يزال متاحًا".

٤: ٦ لقد رأينا، حتى هذا الحد من البحث، أن الله كان منذ الخلق، وما يزال، يعرض راحة على البشرية. إن باب الدخول بقي مفتوحًا.

إن بني إسرائيل في البرية، لم ينجحوا في الدخول، **لسبب العصيان**. لكن هذا لا يعني أن الوعد بالراحة قد بطُل.

٤: ٧ ثم تأتي الخطوة التالية لتبرهن أنه، حتى في زمن داود، أي بعد نحو ٥٠٠ سنة على منع الشعب القديم من الدخول إلى كنعان، كان الله ما يزال يستخدم الكلمة "اليوم" للدلالة على أن الفرصة متاحة. وسبق للكاتب أن اقتبس المزمور ٩٥: ٧،٨ في عبرانيين ٣: ٧، ٨، ١٥.

وها هو الآن يعود ويقتبسها من جديد لبرهان أن وعد الله بالراحة لم يكفّ مع الشعب في البرية. ففي زمن داود، كان ما يزال يناشد الناس أن يثقوا به ولا **يُقسّوا قلوبهم**.

٤: ٨ لقد دخل بعضٌ منهم كنعان مع يشوع، لكن حتى هؤلاء لم ينعموا بالراحة النهائية التي أعدها الله للذين يحبونه. لقد شهدت كنعان أشكالاً من الصراع والخطية، والمرض، والحزن، والألم والموت. ولو أنهم استنفدوا كل وعد الله بالراحة، لما عاد ليعرضه من جديد في زمن داود.

٤: ٩ بعد كل ما تقدم، نصل إلى الخلاصة التالية: **إذاً بقيت راحة لشعب الله**. في هذه الآية: يستخدم الكاتب كلمة يونانية مختلفة للراحة (سبّتيسموس *Sabbatismos*) المشتقة من السبت. إنها تشير إلى الراحة الأبدية التي سينعم بها جميع الذين نالوا الفداء بدم المسيح الثمين. إنه حفظ "لسبت" لا ينتهي.

٤: ١٠ كل من يدخل **راحة الله**، يستريح أيضًا من أعماله، تمامًا كما **فعل الله** في اليوم السابع.

قبل نوالنا الخلاص، ربما كنا نحاول أن نعمل لأجل خلاصنا. لكن عندما تحقّقنا من أن المسيح قد تمّم العمل في الجلجثة، تخلينا عن مجهوداتنا الباطلة ووثقنا بالفادي المقام.

بعد الخلاص، تَنفُق ونُنفَق بدافع المحبة في سبيل الرب الذي أحبّنا وبذل نفسه لأجلنا. إن أعمالنا الصالحة هي ثمر الروح القدس الساكن فينا. وغالبًا ما نتعب في خدمته، وليس من خدمته.

في راحة الله الأبدية، سوف نكف عن أعمالنا التي نعملها هنا. لكن هذا لا يعني أننا لن نقوم بأي عمل في السماء. لأننا سنبقى نعبده ونخدمه هناك، ولكن دون أي تعب أو حزن، أو اضطهاد أو أسى.

٤: ١١ تبرهن الأعداد السابقة أن راحة الله ما تزال مُتاحة. ويذكر هذا العدد أن أمر **دخول الراحة** يحتاج إلى **اجتهاد**. فعلينا أن نجتهد لكي نتيقن أن المسيح الرب هو رجاؤنا الوحيد. ثم يجب أن نقاوم باجتهاد أية تجربة تجعلنا نكتفي بمجرد الاعتراف بإيماننا بالمسيح، ومن ثم ننكره تحت وطأة حرارة الألم والاضطهاد.

كان بنو إسرائيل لا مبالين. لقد استخفوا بمواعيد الله. وكانوا ميالين بشدة إلى مصر، أرض عبوديتهم. لم يجتهدوا لأجل الحصول على مواعيد الله بالإيمان. ونتيجة لذلك، لم يبلغوا كنعان قطّ. لذا يجب أن نعتبر بعبرتهم.

٤: ١٢ يحتوي العددان التاليان على تحذير جَدّي من أنه لا بد لعدم الإيمان من أن يُكشف. ما يكشفه أولاً هو **كلمة الله**. (إن الكلمة اليونانية للإشارة هنا إلى اللفظة كلمة هي ربما *Rhema* وليس لوجوس *Logos* اللفظة المألوفة التي يستخدمها يوحنا في مقدمة إنجيله. فهنا الآية لا تشير إلى الكلمة الحي: يسوع، بل إلى الكلمة المكتوبة: الكتاب المقدس). فكلمة الله هذه هي:

حية: فيها حياة باستمرار وبشكل فعال.

فعّالة: تمد بالطاقة.

قاطعة: **أمضى من كل سيف ذي حدين**.

فاصلة: **خارقة إلى مفرق النفس والروح**، إلى هذين الجزئين من الإنسان اللذين لا يمكن رؤيتهما، وطبيعتهما غير مادية. كما أنها خارقة إلى **المفاصل والمِخاخ**، المفاصل التي تسمح بالحركات الخارجية،

والمخاخ بكونه حياة العظم المخفية لكن الحيوية.

مميّزة: **تميّز أفكار القلب ونيّاته** تحكم عليها. إنها الكلمة تحكم علينا، ليس نحن نحكم على الكلمة.

٤: ١٣ وأيضًا الرب الحي يكشف عدم الإيمان. في هذا العدد يعود الضمير إلى شخص الرب: **وليس خليقة غير ظاهرة قدامه.** لا شيء يختفي من أمامه. إنه العليم بكل ما فيه، بشكل مطلق. إنه يَعي باستمرار كل ما يحصل في الكون. وطبعًا إن النقطة الرئيسية بحسب القرينة هي أنه يعرف هل نؤمن إيمانًا حقيقيًا، أو أن إيماننا يقتصر على مجرد قبول فكري للحقائق ليس إلا.

٢ـ المسيح أعظم في كهنوته (٤: ١٤-١٠: ١٨).

أ. خدمة المسيح كرئيس كهنة هي أعظم من خدمة هارون (٤: ١٤-٧: ٢٨).

٤: ١٤ تعود هذه الأعداد فتتناول مَن جديد، الفكرة التي كان الكاتب قد ألمح إليها في ٣: ١، أي كون المسيح هو **رئيس كهنة عظيمًا** لشعبه. فهذه الآيات تبرزه من حيث هو العون العظيم لشعبه المحتاج، وعنده القدرة على حفظهم من السقوط. كما إنها تنقل التشديد وتحوله من "الكلمة التي تميز أمورنا وتتفحصها، إلى الرب الذي يشعر معنا". بعد أن تكشف الكلمة واقعنا على حقيقته (ع١٢، ١٣)، باستطاعتنا أن نلتجئ إليها طلبًا للرحمة والنعمة.

لاحظ كمالات ربنا العجيب:

١ـ **إنه رئيس كهنة عظيم.** كان هناك عدة رؤساء كهنة تحت النظام الموسوي، ولكن لم يُدعَ أي منهم قطّ عظيمًا.

٢ـ لقد **اجتاز** سماء الغلاف الجوي وسماء النجوم إلى السماء الثالثة حيث مسكن الله. وهذا بالطبع صورة عن صعوده وتمجيده عن يمين الآب.

٣ـ إنه بشري. **يسوع** هو الاسم المعطى له عند ولادته وهو الاسم الذي يرتبط على نحو خاص بناسوته.

٤ـ إنه إلهي. فالتعبير **ابن الله**، عندما يُطلق على المسيح، يشير إلى أنه مساوٍ لله الآب مساواة مُطلقة. إن ناسوته أهّله من جهتنا، أما لاهوته فقد أهّله من جهة الله. ولا عجب إذًا إذا قيل فيه إنه **رئيس كهنة عظيم**.

٤: ١٥ ثم نحتاج أيضًا إلى أخذ خبرته بعين الاعتبار. فلا أحد يقدر على أن يشعر مع شخص آخر، إلا متى اجتاز هو نفسه في اختبار مماثل. إن ربنا، بوصفه إنسانًا، قد شاركنا في اختباراتنا، ويستطيع بالتالي أن يتفهم ما يعترض سبيلنا من تجارب. (لا يمكن أن يتعاطف معنا لجهة خطايانا، لأنه لم يختبرها قط). وكما تقول كلمات الترنيمة:

إن رجل الأوجاع يشاطرنا
كل غصة في قلوبنا

إنه مجرّب في كل شيء مثلنا بلا خطية. الكتاب المقدس يراعي، بكل اهتمام، حقيقة كمال الرب يسوع وخلوه من أية خطيئة. وحري بنا نحن أيضًا أن يكون عندنا هذا الحرص عينه. فهو لم يعرف خطية (٢كو٥: ٢١)، ولم يفعل خطية (١بط ٢: ٢٢)، وليس فيه خطية (١يو٣: ٥).

كان من المستحيل عليه أن يخطئ سواء بوصفه الله أو الإنسان. وبصفته الإنسان الكامل، لم يكن ممكنًا أن يعمل أي شيء من نفسه، بل كان مطيعًا للآب بشكل مطلق (يو٥: ١٩) ويقينًا لن يقوده الآب البتة إلى اقتراف أية خطية.

والقول إنه لا معنى لتجربته ما دام عاجزًا عن الوقوع في الخطية، هو أمر منطوٍ على مغالطة. كان أحد أهداف التجربة البرهان بشكل قاطع أنه لا يمكن أن يخطئ*. فعندما تمتحن الذهب، لا تقلل من قيمته إذا كان ذهبًا نقيًّا صافيًا، أما إذا وجد فيه أي زغل، فالاختبار سيظهره.

كذلك من الخطإ القول إنه لم يكن إنسانًا بكل معنى الكلمة، إن لم يكن ممكنًا أن يخطئ. فالخطية ليست من العناصر الضرورية في البشرية، لكنها مجرد جسم غريب. لقد فسدت بشريتنا بفعل الخطية، أما بشريته، فهي كاملة.

إن كان ممكنًا أن يخطئ يسوع بوصفه الإنسان على الأرض، فما الذي يمنعه من أن يخطئ بوصفه الإنسان في السماء؟ إنه لم يضع بشريته جانبًا عند صعوده وجلوسه عن يمين الآب. كان كاملاً على الأرض، كما هو كامل في السماء.

٤: ١٦ الآن تُعرض علينا الدعوة الكريمة: **لنتقدم بثقة إلى عرش النعمة.** تتأسس ثقتنا على علمنا أنه مات لأجل خلاصنا، وهو يحيا لكي يحفظنا. ونحن متيقنون أنه ينتظرنا ترحيب حار لأنه هو الذي دعانا إلى المجيء إليه.

لم يكن بوسع الشعب في زمن العهد القديم أن يقتربوا منه. كان يحق لرئيس الكهنة وحده أن يدنو منه. وذلك مرة واحدة في السنة. أما نحن فباستطاعتنا أن ندخل إلى حضرته في أي وقت من النهار أو الليل لكي **ننال رحمة ونجد نعمة عونًا في حينه.** إن **رحمته** تغطي ما كان ينبغي ألا نفعله، أما **نعمته** فتمدنا بالقوة للقيام بما ينبغي أن نعمله لكننا نفتقر إلى القدرة اللازمة.

كتب مورجان *Morgan* ما يلي:

> أني لا آمل أبدًا من الإشارة إلى أن العبارة اليونانية المترجمة "في حينه" هي تعبير مألوف في العامية يعادله تمامًا قولنا: "في اللحظة الأخيرة"، أو "أحرج وقت". "لكي ننال رحمة ونجد نعمة في الوقت الحرج": نعمة في اللحظة التي فيها احتاج إليها، وحيثما كنت. ثمة تجربة تقضّ مضجعك؛ ففي لحظة الهجوم، إذ تنظر إليه - تبارك اسمه - حيث النعمة لتعينك "في الوقت الحَرج"، فإنه لا يؤجّل أمر طلبك حتى ساعة صلاة المساء. بل وأنت في وسط شارع المدينة، وأمام التجربة المتأجّجة، التفت إلى المسيح بصرخة استغاثة، وإذا بك تجد النعمة حاضرة الوقت الحَرج.

إلى هذا الحد، أظهر يسوع أنه أعظم من الأنبياء ومن الملائكة، ومن موسى. ننتقل الآن إلى الموضوع الهام الذي يتعلق بالكهنوت لنرى أن خدمة يسوع من حيث هو رئيس كهنة هي أعظم من خدمة هارون.

عندما أعطى الله موسى الناموس على جبل سيناء، رتّب أيضًا كهنوتًا بشريًا يستطيع الشعب على أساسه أن يقتربوا منه تعالى. لقد قضى بضرورة أن يتحدّر الكهنة من سبط لاوي ومن عائلة هارون. وتعرف هذه الرُتبة بالكهنوت اللاوي أو الهاروني.

يذكر العهد القديم أيضًا كهنوتًا آخر رتّبة الله. إنه الكهنوت على رتبة ملكي صادق، أحد الآباء الأقدمين. عاش هذا الرجل في زمن إبراهيم قبل إعطاء الناموس بزمن طويل، وقد كانت له وظيفتا

* تتلخص الآراء اللاهوتية حول إمكانية أن يخطئ المسيح من عدمها في عبارتين باللاتينية "*non posse peccare*" أي "لا يمكن أن يخطئ"، أو "*posse non peccare*" أي "من الممكن ألا يخطئ". والحق أنه "*non posse peccare*" فما كان ممكنًا أن يخطئ – تبارك اسمه.

ملك وكاهن في آنٍ. وفي النص أمامنا، يبين الكاتب أن الرب يسوع المسيح هو كاهن على رتبة ملكي صادق، وأن هذا الكهنوت هو أعظم من الكهنوت الهارونى.

تحتوى الأعداد الأربعة الأولى على وصف للكهنوت الهارونى. ثم في الأعداد ٥ – ١٠ يتناول الكاتب بالتفصيل مسألة جدارة المسيح بوصفه كاهنًا، حيث يستخدم الكاتب لذلك، في معظم الأحيان، أسلوب المفارقة.

٥: ١ كان أول مؤهل **للكاهن** الهارونى أن يكون مأخوذًا **من الناس**. بكلمة أخرى، كان ينبغي له أن يكون هو أيضًا إنسانًا.

كان معيّنًا كي يعمل **لأجل الناس** في ما يتعلق بالله. وكان ينتمي إلى صنف خاص من الرجال الذين كانوا يقومون بدور الوسيط بين الله والناس. وكانت إحدى مهامه الرئيسية تقديم **قرابين وذبائح عن الخطايا**. تشير **القرابين** إلى أي من التقدمات التي كانت تقرّب إلى الله. أما **الذبائح**، فهي التقدمات الخاصة التي تتضمن سفك دم من أجل التكفير عن الخطايا.

٥: ٢ كان عليه أن **يترفّق** بالضعف البشرى ويتعامل بلطف مع **الجهّال والضالين**. إن ما يحيط به شخصيًا من ضعف، يؤهّله لتفهم المشاكل التي يواجهها شعبه.

إن الإشارة في هذا العدد إلى **الجهّال** والضالين تذكّرنا بأن ذبائح العهد القديم كانت من أجل الخطايا غير المقترفة إراديًا. فلا يضم الناموس أي تدبير بشأن الخطية المرتكبة عن سابق قصد وتصميم.

٥: ٣ بينما كان الكاهن ينتفع من كونه إنسانًا، إذ يجعله ذلك يتشبّه بالشعب، كانت طبيعته البشرية الخاطئة، بالمقابل، تشكّل عائقًا. كان يحتاج إلى أن **يقدّم ذبائح لأجل نفسه**، كما أيضًا **عن الخطايا لأجل الشعب**.

٥: ٤ لم يكن الكهنوت من الوظائف التي يختارها الناس. بل كان ينبغي لهم أن يكونوا **مدعوين من الله كما هارون أيضًا**. كانت دعوة الله تقتصر على هارون وعلى سلالته. لم يكن يحقّ لأي شخص خارج هذه العائلة أن يخدم في خيمة الاجتماع أو الهيكل.

٥: ٥ يتحوّل الكاتب الآن إلى **المسيح**، مبرهنًا جدارته كاهنًا بسبب تعيينه الإلهي، و بشريته الظاهرة، ومؤهلاته المكتسبة.

أما تعيينه، فكان مصدره الله نفسه. لقد جاءت دعوته من أعلى سلطة، ولا تمت بصلة إلى أية سلسلة نسب بشرية. كانت تنطوي على علاقة أفضل مما حصل عليه أي كاهن أرضي. **فكاهننا هو ابن الله الفريد**، الابن الأزلي، والابن بالتجسد، والابن بالقيامة.

٥: ٦ ثم إن كهنوت المسيح هو من رتبة أفضل، لأن الله صرّح بشأنه في المزمور ١١٠: ٤ **أنه كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق**. وهذا التفوّق سيتم شرحه بأكثر إسهاب في أصحاح ٧. أما الفكرة البارزة في هذا العدد، فهي أن هذا الكهنوت يبقى **إلى الأبد**، خلافًا للكهنوت الهارونى.

٥: ٧ ليس المسيح **ابن الله** الذي بلا خطية فحسب، بل هو أيضًا إنسانًا حقيقي. لقد برهن الكاتب هذا، إذ أشار إلى مجموعة متنوعة من الاختبارات البشرية التي اجتاز فيها **في أيام تجسّده**. لاحظ الكلمات المستخدَمة لوصف حياته، ولا سيما اختباره في بستان جثسيماني: **طلبات وتضرعات بصراخ شديد ودموع**. تخبر هذه كلها أنه لم يكن إنسانًا

مستقلاً، بل كان يعيش في طاعة لله، ويشارك البشر في كل أحاسيسهم التي لا علاقة لها بالخطية.

لم تكن صلاة المسيح لكي يتخلّص من الموت، إذ إن الموت من أجل الخطاة كان يشكّل الهدف الرئيسي من مجيئه إلى العالم (يو١٢: ٢٧) كان يصلّي حتى يُنقذ من الموت بمعنى ألا تبقى نفسه في الهاوية. لقد استُجيبت هذه الصلاة عندما أقامه الله من بين الأموات **فسُمع له من أجل تقواه.**

٥: ٨ في هذه الآية، نتواجه مرة أخرى مع ذلك السر العميق المختص بالتجسّد: كيف كان باستطاعة الله أن يصبح إنساناً حتى يموت من أجل الناس.

مع كونه ابناً، ليس بمعنى أنه كان ابناً من جملة كثيرين آخرين، لكنه كان ابن الله الوحيد. وعلى الرغم من هذه الحقيقة العظيمة، **تعلّم الطاعة مما تألّم به.** إن دخوله إلى هذا العالم إنساناً أتاح أمامه فرصة الاشتراك في اختبارات لم يكن ليعرفها اختباريًا لو أنه بقي في السماء. كان كل صباح يفتح أذنه لتقبّل توجيهات من أبيه لذلك اليوم (إش٥٠: ٤). لقد **تعلّم الطاعة** بشكل اختباري بصفته الابن الذي كان، باستمرار، خاضعًا لإرادة أبيه.

٥: ٩ **وإذ كُمّل.** هذا الكلام **لا يمكن** أن يشير إلى سجاياه الشخصية. لأن الرب يسوع كان مُطلق الكمال: كانت كلماته وأعماله، وطُرقه بلا عيب بالمطلق. بأي معنى إذًا جرى **تكميله**؟ الجواب هو في مهامه من حيث هو مخلّصنا. لم يكن ممكنًا قطّ أن يصبح مخلصنا الكامل لو أنه بقي في السماء. لكنه استطاع من طريق تجسده وموته ودفنه وقيامته وصعوده، أن يُتمّم العمل الذي كان ضروريًّا لتخليصنا من خطايانا. والآن، اكتسب مجد كونه المخلّص الكامل للعالم.

وبعودته إلى السماء، **صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي.** إنه مصدر خلاص للجميع، ولكن لا يخلص إلاّ **الذين يطيعونه.**

فالخلاص مشروط، إذًا، بأمر إطاعته. يظهر في نصوص عديدة أخرى، أن الخلاص مشروط بالإيمان. فكيف نستطيع التوفيق بين هذا التناقض الظاهري؟ أولاً، إنها طاعة الإيمان (رو١: ٥؛ ١٦: ٢٥-٢٧). "الطاعة التي يطلبها الله هي الإيمان بكلمته". لكن يصح أيضًا القول إن الإيمان المخلّص هو من الصنف الذي يُنتج طاعة. فمن المستحيل أن نؤمن، بالمعنى الكتابي الصحيح في العهد الجديد، من دون طاعة.

٥: ١٠ وإذا تمّم الرب يسوع العمل الأساسي للكهنوت، دعاه الله **رئيس كهنة** "**على رتبة ملكي صادق**".

الجدير ذكره هنا هو أن المسيح مع كون كهنوته على رتبة ملكي صادق، ظلت مهامه الكهنوتية شبيهة بتلك التي كان يتمّمها الكهنة الذين على رتبة هارون. وفي الواقع، كانت خدمة الكهنة اليهود ظلاً أو صورة للعمل الذي سيكمّله المسيح.

٥: ١١ عند هذا الحد، يجد الكاتب نفسه مضطرًا إلى الرجوع قليلاً إلى الوراء. إنه يرغب في مواصلة كلامه عن موضوع كهنوت المسيح الذي على رتبة ملكي صادق، لكنه لا يقدر على ذلك. إنه محصور من الله ليوبّخ قراءة على عدم نضجهم، ولتحذيرهم بجدية في الوقت عينه من خطر الارتداد.

إنه لأمر محزن أن يصح القول إن حالتنا الروحية هي التي تحدّد مدى إدراكنا للحق الإلهي. فالمسامع المتباطئة

تعجز عن قبول الحقائق العميقة. وكم مرة ينطبق علينا القول، كما على التلاميذ في القديم، إن عند الرب أمورًا كثيرة لينقلها لنا، لكننا لا نستطيع احتمالها (يو١٦: ١٢).

٥: ١٢ يذكر كاتب العبرانيين بأنهم كانوا قد حصلوا على تعليم لوقت طويل، حتى إنه كان ينبغي لهم أن يعلّموا آخرين. لكن المأساة هي حاجتهم دائمًا إلى من **يعلّمهم** ألفباء أقوال الله.

كان ينبغي أن تكونوا معلّمين. إن قصد الله بالنسبة إلى كل مؤمن هو أن ينضج إلى الحد الذي يتمكن معه من تعليم الآخرين. فعلى كل واحد أن يعلّم واحدًا آخر! ومع أنه يصح القول إن لدى بعضهم موهبة تعليم خاصة، يبقى أيضًا أنه ينبغي لكل مؤمن أن ينشغل في خدمة تعليمية ما. لم تكن قطّ نية الله أن ينحصر هذا العمل بقلة قليلة فقط.

وصرتم محتاجين إلى اللبن لا إلى طعام قوي. فعلى الصعيد الجسدي. يتأثر الولد سلبًا إذا لم ينتقل من اللبن (الحليب) إلى الطعام القوي. وهكذا أيضًا يكون التعسر في النمو على الصعيد الروحي (١كو٣: ٢).

٥: ١٣ إن المؤمنين المعترفين الذين يعيشون على **اللبن، هم عديمو الخبرة في كلام البر.** إنهم سامعون للكلمة غير عاملين بها. وهم يفقدون ما لا يستخدمونه، وهكذا يستمرون في حالة من الطفولة الدائمة.

يعوزهم إحساس حاد لتمييز الأمور الروحية، وهم بالتالي مضطربون ومحمولون بكل ريح تعليم، بحيلة الناس، بمكر إلى مكيدة الضلال (أف٤: ١٤).

٥: ١٤ إن **الطعام الروحي القوي هو للبالغين، الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر.** وإذ يطيع هؤلاء القوم النور الذي يحصلون عليه من كلمة الله، يتمكنون بذلك من الحكم في الأمور روحيًا، وهكذا ينقذون أنفسهم من مخاطر أدبية وتعليمية.

وفي هذا المجال، يحتاج القرّاء بالتحديد إلى أن يميزوا بين **الخير والشر** في ما يتعلق بالمسيحية واليهودية. ليس معنى ذلك أن اليهودية كانت، بحد ذاتها، شرًّا، فالله نفسه هو الذي أدخل النظام اللاوي. لكن، كان القصد منها الإشارة قُدمًا إلى المسيح. ففيه تتمم رموز الشعائر والطقوس وظلالها. أما الآن، وبعد مجيء المسيح، فإن العودة إلى الصور المختصة به هي خطية، وكل ما ينافس المسيح على مشاعر الناس وعلى ولائهم له هو شر. إذًا، باستطاعة المؤمنين الناضجين روحيًا التمييز بين كهنوت هارون، الذي هو أقل شأنًا، وكهنوت المسيح الذي هو فائق كليًا.

٦: ١ يستمر التحذير الذي بدأ في ٥: ١١ طوال هذا الفصل. إنه، في كل العهد الجديد كله، واحدٌ من أكثر النصوص عُرضة للكثير من الجدل. وبما أن عددًا لا بأس به من المسيحيين الأتقياء يختلفون في تفسيره، يليق بنا ألا نتحدث عن هذا النص بشكل قاطع وحاسم. إننا نعرض الشرح الذي يبدو أكثر انسجامًا مع القرائن، ومع باقي كتابات العهد الجديد.

أولاً، وقبل كل شيء، يناشد القرّاء لترك **كلام بداءة المسيح.** نفهم من ذلك أن المقصود العقائد الأساسية للديانة التي علّم بها العهد القديم بقصد إعداد الشعب القديم لمجيء المسيّا. وهذه العقائد مذكورة في القسم الأخير من العدد الأول وفي العدد الثاني. إنها، كما سنبين، لا تشكّل العقائد الرئيسية في المسيحية، بل هي بالحري تعاليم ذات

طابع بدائي تشكل الأساس لعمليات بناء لاحقة. ينقص هذه التعاليم ما يتعلق بالمسيح المُقام والممجَّد. وهذه المناشدة تقضي بترك هذه الأمور الأساسية، لا بمعنى التخلي عنها بصفتها غير نافعة، بل بالحري التقدم منها إلى مرحلة النضج. فالإشارة الضمنية هنا هي أن مرحلة الدين اليهودي كانت بمثابة طفولة روحية، فيما تمثل المسيحية بالمقابل مرحلة النمو الكامل.

بعد وضع الأساس، تكون الخطوة التالية هي البنيان عليه. إن **أساسًا** تعليميًا قد تم وضعه في العهد القديم؛ وهو يشتمل على التعاليم الأساسية الستة المدرجة لاحقًا: الأمر الذي يشكّل نقطة انطلاق؛ أما حقائق العهد الجديد العظيمة والمختصة بالمسيح، بشخصه وبعمله، فتشكّل خدمة الكمال أو النضج.

إن أولى عقائد العهد القديم هي **التوبة من الأعمال الميتة**. لقد كرز بذلك، باستمرار، كل من الأنبياء ويوحنا المعمدان الذي جاء كسابق للمسيح. وجميع هؤلاء دعوا الشعب إلى التحوّل من **الأعمال** التي كانت **ميتة**، بمعنى أنها خالية من الإيمان.

قد تشير **الأعمال الميتة** في هذا العدد أيضًا إلى أعمال كانت سليمة قبلاً، لكنها أصبحت الآن **ميتة** بعد مجيء المسيح. فالخدمات المرتبطة بعبادة الهيكل، مثلاً، قد عفا عليها الزمن من جرّاء العمل الذي تمّمه المسيح.

ثانيًا: يذكر الكاتب **الإيمان بالله**، وهذا الأمر، شدّد عليه أيضًا العهد القديم. وفي العهد الجديد، غالبًا ما يُعرض المسيح بصفته الغرض من الإيمان. وهذا لا يلغي الإيمان بالله؛ لكن إيمانًا بالله يُبقي على المسيح خارجًا، بات الآن غير مناسب.

٦: ٢ إن تعليم **المعموديات** لا يشير إلى المعمودية المسيحية، بل إلى الغسلات الطقسية التي كانت بارزة بهذا الشكل الواضح في الحياة الدينية عند الكهنة وعند شعب إسرائيل (راجع أيضًا ٩: ١٠).

كما أن طقس **وضع الأيادي**، يصفه لنا لاويين ١: ٤؛ ٣: ٢؛ ١٦: ٢١، حيث كان الذي يقرّب الذبيحة أو الكاهن، يضع يديه على رأس الحيوان كعمل يُقصد منه الاتحاد أو المبادلة. وكان الحيوان، على نحو رمزي، يحمل بعيدًا خطايا الشعب الذين كانوا على ارتباط به. إذًا، كان هذا الطقس يرمز إلى الفداء البديلي. ولا نعتقد أنه يوجد أية إشارة هنا إلى وضع الأيادي، تلك العملية التي مارسها الرسل وآخرون في الكنيسة الأولى (أع ٨: ١٧؛ ١٣: ٣؛ ١٩: ٦).

قيامة الأموات، ورد التعليم عنها في أيوب ١٩: ٢٥-٢٧، كما أن إشارة ضمنية إليها في إشعياء ٥٣: ١٠-١٢. وما كان يُرى بشكل مُبهم في العهد القديم، بات مُعلنًا بكل وضوح في العهد الجديد (٢تي١: ١٠).

وآخر حق أساسي في العهد القديم كان يتعلّق **بالدينونة الأخيرة** (مز٩: ١٧؛ إش٦٦: ٢٤).

هذه المبادئ الأولى كانت تمثّل اليهودية، وكانت تُعدّ لمجيء المسيح. فعلى المسيحيين ألا يستمروا مكتفين بها، بل أن يواصلوا السعي للحصول على الإعلان الأوفى الذي لهم الآن في المسيح. والقراء مدعوون إلى الانتقال "من الظل إلى الحقيقة، ومن الرمز إلى المرموز إليه، ومن القشرة الخارجية إلى اللُّب، ومن الصور الميتة لديانة الأسلاف إلى الحقائق الحية المختصة بالمسيح".

٦: ٣ يعبِّر الكاتب عن رغبته في مساعدتهم على فعل ذلك إن أذن الله. بيد أن العامل المحدِّد، هو من جانبهم، لا من جانب الله. فالله سيؤهِّلهم للتقدم إلى كمال الرجولة الروحية، لكن ينبغي لهم أن يتجاوبوا مع الكلمة، إذ يظهارون إيمانًا حقيقيًا مع صبر واحتمال.

٦: ٤ نأتي الآن إلى صُلب التحذير من الارتداد. إنه ينطبق على فئة من الناس **لا يمكن تجديدهم أيضًا للتوبة**. يبدو، حسب الظاهر، أنه سبق لهؤلاء القوم أن تابوا (مع أنه لا يوجد أي ذكر لإيمانهم بالمسيح)، والآن يأتي التصريح الواضح باستحالة توبتهم مجدَّدًا.

مَن هم هؤلاء القوم؟ يطالعنا الجواب في العددين الرابع والخامس. ففي تفحّصنا لما ينعمون به من امتيازات عظيمة، علينا أن نلاحظ أن هذه الأمور قد تصح على غير المؤمنين. لا يذكر الكتاب بوضوح أنهم ولدوا ثانية، ولا تحدَّث عن العوامل الجوهرية، مثل الإيمان المخلّص، والفداء بدم الرب، أو الحياة الأبدية.

لقد سبق لهم أن **استنيروا مرة**، إذ سمعوا إنجيل نعمة الله، فلم يعودوا في الظلمة ومن حيث معرفة السبيل إلى الخلاص، كما استنير يهوذا الإسخريوطي لكنه رفض النور.

إنهم **ذاقوا الموهبة السماوية**، أي الرب يسوع، لكنهم لم يقبلوه بفعل إيمان واضح وصريح. ومن الممكن التذوق من دون الأكل أو الشرب. فعندما قدّم الناس خمرًا ممزوجًا بخل ليسوع على الصليب، تذوقه لكنه لم يشرب (مت٢٧: ٣٤). إن مجرد تذوق المسيح لا يكفي، لأنه ما لم نأكل جسد ابن الإنسان ونشرب دمه، أي ما لم نقبله فعلاً ربًّا ومخلِّصًا فلا تكون لنا حياة فينا (يو٦: ٥٣).

وقد صاروا **شركاء الروح القدس**. وقبل أن نسارع إلى الاستخلاص أن هذا يعني حكمًا واقع اهتداءٍ فعليٍّ، يجب أن نتذكَّر أن الروح القدس يقوم، في حياة الناس، بخدمة سابقة لاهتدائهم. فهو يقدِّس غير المؤمنين (١كو٧: ١٤)، جاعلاً إياهم في موقع الامتياز الخارجي. كما أنه يبكِّت غير المؤمنين على خطية، وعلى بر، وعلى دينونة (يو١٦: ٨)، ويقود الناس إلى التوبة ويدلهم على المسيح بصفته الرجاء الوحيد. إذًا، من الممكن أن يتشارك الناس في فوائد الروح القدس من دون أن يسكن فيهم.

٦: ٥ **وقد ذاقوا كلمة الله الصالحة**. فعندما سمعوا الكرازة بالإنجيل، تأثّروا بشكل عجيب، وهكذا انجذبوا إليه. كانوا أشبه بما سقط من البذار على الأرض المُحجرة. إنهم سمعوا الكلمة وقبلوها للوقت بفرح، لكن لم يكن عندهم جذور. لقد احتملوا لبعض الوقت، لكن ما إن برز ضيق أو اضطهاد بسبب الكلمة، عثروا وسقطوا بسرعة (مت١٣: ٢٠، ٢١).

وقد ذاقوا **قوات الدهر الآتي**. و**القوات** تفيد هنا معنى العجائب. **الدهر الآتي**، هو عصر الملك الألفي، زمن السلام والازدهار عندما يملك المسيح على الأرض مدة ألف سنة. إن العجائب التي واكبت عملية الكرازة بالإنجيل في أوائل عهد الكنيسة (عب٢: ٤)، كانت بمثابة تذوق مبدئي للآيات والمعجزات التي ستحصل في ملكوت المسيح. فهؤلاء القوم كانوا قد عاينوا هذه العجائب وشاهدوها في القرن الأول. ولربما، في الواقع، اشتركوا فيها. خذ مثلاً، معجزة تكثير الخبز والسمك. فبعد إطعام الرب يسوع للخمسة الآلاف، تبعه الجمع إلى الجهة الأخرى من البحر. لكن المخلِّص تحقق من أنهم لم يؤمنوا به فعلاً، على الرغم من كونهم قد تذوقوا معجزة. إذ قال

لهم: «الحقّ الحقّ أقول لكم أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم» (يو٦: ٢٦).

٦:٦ وفي حال سقطوا، بعد أن تمتعوا بهذه الامتيازات التي ذكرناها الآن، لا يمكن تجديدهم أيضًا للتوبة. لقد اقترفوا خطية الارتداد، وبلغوا المكان الذي فيه تنطفئ الأضواء على الطريق إلى الجحيم.

إن ذنب المرتدين الهائل، معبّر عنه بالكلمات: إذ **هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهارونه** (ع٦) وهذا يعني ازدراء بالمسيح، عن سابق قصد وافتعال، لا مجرد لا مبالاة به بدافع الإهمال. إن هذا الأمر ينطوي على خيانة مباشرة لشخص المبارك، مع حشد القوى ضده، واستهزاء به وبعمله.

الارتداد

ا لمر تدّ و نهمقو ميسمعو نا لإ نجيل ، و يعترفو نز و رًا بأ نهممسيحيو ن ، و ينتمو ن إ لى كنيسة مسيحية ، ثميتخلو نعنا عترا ف الإ يمان ، و ير فضو نا لمسيحعنسا بقتصميم ، فيهجر و نالشر كة ا لمسيحية ليأ خذو ا أ ما كنهم بينأ عدا ء الر بيسو عا لمسيح . الا ر تدا دخطية يقتر فها غير ا لمؤ منينو حد هم ، لا منو قعو ا ضحية خد ا ع ، بلمنيتحو لو نعنا لر بعن سابقعلمو بتصميمو خبث .

يجبعد ما لخلطبينها و بينخطية غير ا لمؤ منا لذ ييسمعا لإ نجيللكنلا يفعلاً يشي ء تجا هه . مثلاً ، قد يخفقا لإ نسا نفيا لتجا و بمع السيد بعدد عو ا تمتكرّ ر ةمنا لر و حا لقدس ؛ لكنه ليسبمر تد . و با لتا ليما يز ا لبا ستطا عتهأ ن يخلصإ نكا نيسلمنفسهللمخلص . و طبعًا ، إ ذ ا ما تو هو غير مؤ من ، فإ نهيهلكإ لى الأ بد . لكنلا مجا للفقد ا نا لأ ملما د ا محيًا و قا د رًا على ممارسةالإيمانبالرب .

فيهذ ا ا لسيا ق ، نحتا جإ لى أ ننعيا لحقيقة التا لية : قد يتيهمؤ منحقيقيبعيدًا جدًا عنا لمسيح ، فتنقطعشر كتهمعا لر ببسببا لخطية ، و قد يصل إ لى حد لا يعو د عند هيُعتبر مسيحيًا ؛ لكن ، يبقى ممكنًا احتما لإ عا د تهإ لى شر كة كا ملة حا لما يعترفبخطيتهويتركها (١يو ١: ٩).

ليسا لا ر تد ا د هو ا لخطية ا لتيلا تغتفر ، و ا لمذ كو ر ة فيا لإ نجيل . فتلككا نتخطية عَزْ و معجز ا تا لر بيسو عإ لى ر ئيسا لشيا طين . فا لر ب يسو عكا نيصنعمعجز ا تهبقو ة ا لر و حا لقد س ، و عَزْ و هذ ها لعجا ئبإ لى ا لشيطا نهو تجد يفعلى الر و حا لقدس ، لأ نهيعنيضمنًا أ نا لر و حا لقدس كا نهو ا لشيطا ننفسه . قا لا لر بيسو عإ نخطية كهذ هلا تغفر البتة ، لا فيهذ ا الد هر و لا فيا لد هر الآتي (مر ٣: ٢٢-٣٠). و يشبها لا ر تدا د التجديف على الر و حا لقد سمننا حية كو نهخطية أبد ية ، لكن الشبهينتهيعندهذاالحد .

أ نا أ ؤ منأ نا لا ر تد ا د هو نفسها لخطية ا لتيللمو تا لمذ كو ر ة في ١ يو حنا ٥: ١٦. لقد كا نيو حنا يكتبعنجما عة منا لقو م اعترفو ابا لإ يما نا دعا ء و شا ر كو ا فينشا طا ت الكنا ئسا لمحلية . ثمتشبّعو ا بعد ذ لكبضلا لا ت ا لغنو سيينو تر كو ا ا لشر كة ا لمسيحية بكل و قا حة و ضغينة . لقد بينر حيلهما لإ ر ا د ي هذ ا أ نهملميو لد و ا ثا نية قط (١يو ٢: ١٩). فهمبإ نكا ر همجها رًا أ نيسو عهو ا لمسيح (١يو ٢: ٢٢)، اقترفو ا ا لخطية للموت ، و لميبقَ بعد أية منفعة منا لصلا ة لر دهم (١يو ٥: ١٦).

ينز عجبعضا لمؤ منينا لحقيقيينو يضطر بـو ن
لد ىقر ا ءتهمعبر انيين ٦ و نصو صًا مشـا بهة .
فا لشيطا نيستخد مهذ ها لآ يا تلتشو يشـا لمؤ منين
و لا سيَّما ا لذ ينيعا نو نصعو با تصحية أ و جسـد ية
أ و فكر ية أ و نفسية . إ نهميخشـو نأ نيكو نو ا قد
سقطو ا و تا هو ا عنا لمسـيحو لا ر جا ءير دّ هم .
يقلقهمأ نيكنو ا قدز ا غو ا إلى حيثلا ينا لهما لفـدا ء .
إ نمجر د ا هتما مهمبهذ ا ا لأمر هو ا لد ليلا لقا طـع
على أ نهمليسـو ا بمر تد ين . فا لمر تد لا يمكنهأ ن
ير ا عيمخا و فكهذ ه ، بلير فضا لمسـيحبكل
جسار ةو قحة.

إ نكا نتخطية ا لا ر تد ا د لا تنطبقعلـى
ا لمؤ منين ، فعلى منتنطبقإ ذً ا فيأ يا منا ؟ إ نهـا
تنطبقمثلاً على شا بيدّ عيا لإ يما نبا لمسـيح ،
و يبدو عليه ،لبعضا لو قت ،أ نأ مو ر هعلى مايـر ام ،
ثمتتقلبحيا ته . ر بما يختبر ا ضطها دً ا مـرً ا ، أ و
يسـقطفيخطية لا أ خلا قية فا ضحة . أ و ر بما
يد خلا لجا معة حيثيهز كيا نهما يعر ضهمعلمـو ه
منأ فكار و آر ا ءمنا قضةللمسـيحية . و هكذ ا ، مع
علمها لكا ملبا لحق ، يتحو لعنهإ ر ا ديًا . فير فـض
ا لمسيحبا لتما م ، و يد و سبشكلشـر ير على كل
عقيد ة مقد سة و أ سا سية منا لإ يما نا لمسـيحي .
يقو لا لكتا با لمقد سإ نهمنا لمسـتحيلر د مثل
هذ ا إلى التو بة ، ثميأ تيا لا ختبا ر ليد عمهذ ها لفكـر ة .
إ ننا نعر فا لكثير ينممنا ر تد و ا عنا لمسـيح ، لكننا
لا نعلمعنأ يو ا حدأ نهر جعإ لى الر ب .

و إ ذ نقتر بمننها ية هذ ا ا لعصر ، علينـا
أ ننتو قعاز ديا د مو جة الا ر تد اد (٢تـس ٢: ٣؛
١تي ٤: ١) . إ ذً ا يصبحا لتحذ ير منا لسـقو ط
و ا لا بتعا د عنحقا للهو ثيقا لصلة بنا أ كثـر
فأ كثر كلما مضى يو مآخر .

٦: ٧ ينتقل الكاتب الآن إلى عالم الطبيعة لكي يستوحي منها ما يشبه المؤمن الحقيقي (ع٧)، والمرتد (ع٨). وفي كلتا الحالتين يشبه الشخص بالأرض. إن الامتيازات المذكورة في العددين ٤، ٥ تُقارن بالمطر المنعش. فالمحصول الزراعي يشير إلى تجاوب الإنسان مع ما يحصل عليه من امتيازات؛ وهذا بدوره يقرِّر هل هذه الأرض للبركة أو للعنة.

إن المؤمن الحقيقي يشبه الأرض التي شربت المطر، وأنتجت عشبًا صالحًا، وهي مباركة من الله.

٦: ٨ أما المرتد، فيشبه أرضًا قد تم ريّها جيدًا لكنها لم تنتج شيئًا سوى الشوك والحسك، ثمر الخطية. إنها تأخذ من دون أن تعطي أبدًا أي عشب صالح. إن أرضًا كهذه، لا نفع منها. إنها مرفوضة منذ الآن، ونهايتها للحريق.

٦: ٩ ثمة دليلان واضحان، في العددين ٩، ١٠، على أن المرتدين المذكورين في الأعداد السابقة هم غير مؤمنين. الدليل الأول هو التبديل المفاجئ في الضمائر. فالكاتب، في كلامه عن المرتدين، استخدم الضمير "هم" لكن، في حديثه إلى المؤمنين الحقيقيين، تحول إلى ضمير المخاطَب بصيغة الجمع. أما الدليل الآخر، والأكثر وضوحًا، فهو في قوله للمؤمنين: «ولكننا قد تيقنا من جهتكم أيها الأحباء أمورًا أفضل ومختصة بالخلاص». إذًا، فالإشارة الضمنية هنا هي إلى أن الأمور المذكورة في الأعداد ٤-٦،٨ هي غير مقترنة بالخلاص.

٦: ١٠ لقد ظهر في حياة القديسين دليلان على الأمور المقترنة بالخلاص: عملهم، وتعب محبتهم. إن إيمانهم يبرز من خلال حياة مليئة بالأعمال الصالحة. كذلك ظهرت فيهم علامة المسيحية الحق وسمتها: محبة عملية لأهل الإيمان. لقد واظبوا على خدمة شعب الرب عملاً بوصيّته.

٦: ١١ يبدو كأنّ العددين التاليين قد تم توجيههما إلى مجموعة أخرى من الناس، أي إلى أولئك الذين لم يكن الكاتب متأكّدًا من صحة إيمانهم. هؤلاء كانوا في خطر الانحراف والرجوع إلى اليهودية.

فالكاتب، قبل كل شيء، يشتهي أن يظهروا **الاجتهاد عينه** الذي أظهره المؤمنون الحقيقيون في تحقيقهم **يقين الرجاء إلى النهاية**. إنه يريد لهم أن يستمروا بكل ثبات لأجل المسيح، إلى أن يتم رجاء المسيحي النهائي في السماء.

٦: ١٢ عليهم ألاّ يكونوا **متباطئين**، أي أن لا يسمحوا لأرجلهم بأن تتقاعس ولا لمعنوياتهم بأن تضعف. يحتاجون إلى المضي قُدمًا، متمثّلين بحياة المؤمنين الحقيقيين **الذين بالإيمان والأناة يرثون المواعيد**.

٦: ١٣ يرتبط المقطع الختامي من الفصل السادس بالمناشدة في العدد ١٢ للسعي إلى الأمام بثقة وبصبر. فيعرض الكاتب مثال **إبراهيم** كحافز للعمل، وهو بذلك يرسّخ حقيقة الرجاء الأكيد الذي للمؤمن.

قد يبدو على المسيحي أنه في وضع حرج، إذ قد تخلى عن الكل من أجل المسيح، ولم يعد يملك شيئًا يواجه به مستقبله الأرضي؛ فكيف باستطاعته إذًا التأكد من أن رجاءه لن يخيب؟

الجواب يكمن في **وعد الله لإبراهيم**، وهو وعد يشكّل أصلاً لكل البركات التي سوف يغدقها لاحقًا في شخص المسيح. وعندما أعطى الله هذا الوعد، **أقسم بنفسه إذ لم يكن له أعظم يقسم به**.

٦: ١٤ ورد الوعد في تكوين ٢٢: ١٦، ١٧ «بذاتي أقسمت يقول الرب... أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيرًا». لقد تعهّد الله إتمام وعده، وبالتالي بات أمر إتمامه مضمونًا.

٦: ١٥ آمن إبراهيم بالله إذ **تأنّى**، وهكذا **نال الموعد**. وفي الواقع، لم يكن إبراهيم يخاطر عندما آمن بالله. ولم يشكل ذلك أية مجازفة. فكلمة الله هي أضمن شيء في الكون. إن كل وعد إلهي مضمون تحقيقه كما لو أنه قد تم فعلاً.

٦: ١٦ في الشؤون البشرية، **الناس يقسمون** بما هو **أعظم** منهم. إنهم في المحاكم مثلاً، يتعهدون بأن يقولوا الحق، ثم يضيفون: "إذًا، ساعدني يا الله"، إنهم يلجأون إلى الله لتثبيت كلامهم، وبالتالي للتأكيد أنه حق.

عندما **يقسم** الناس لتثبيت وعد، ينهون بذلك، عادة، كل **مشاجرة**. وهذا دليل على المحافظة على الوعد.

٦: ١٧ كان الله يريد لشعبه المؤمن أن يتأكدوا، بشكل مُطلق وحازم، من أنّ ما وعد به سيتحقق. في الواقع، إن وعده هو كافٍ بحدّ ذاته، لكنه أراد أن **يُظهر** ذلك أكثر كثيرًا، غير مكتفٍ بالوعد؛ من هنا أضاف إلى الوعد قسمًا.

إن **ورثة الموعد** هم المؤمنون، أولاد إبراهيم المؤمن. فالوعد المشار إليه هو الوعد بالحياة الأبدية لجميع الذين يؤمنون بالله. وعندما وعد الله إبراهيم بنسل، لقي الوعد تتميمه الكامل والنهائي في المسيح. إذًا، كل البركات التي تجري من الاتحاد بالمسيح كانت **متضمّنة** في هذا الوعد.

٦: ١٨ بإمكان المؤمن الآن الاستناد إلى **أمرين عديمي التغير**: كلمة الرب، وقسمه. من المستحيل تخيل أي شيء آخر يفوقهما في الضمانة والثبات. فالله يعد بأن يخلّص الذين يؤمنون بالمسيح **جميعهم**، ثم يثبت ذلك بقَسَم. إذًا، لا مفر من الاستخلاص التالي: عند المؤمن ضمانة أبدية.

يستخدم الكاتب في ما تبقى من الفصل السادس، أربع صور لتأكيد أن الرجاء المسيحي هو أهل لثقة تامة: ١ـ مدينة ملجأ، ٢ـ مرساة، ٣ـ سابق، ٤ـ رئيس كهنة.

أولاً، يصور المؤمنين الحقيقيين بأنهم هاربون من هذا العالم المحكوم عليه بالهلاك إلى مدينة الملجإ السماوية. فالله وهبهم رجاء لا يخيب، مؤسَّسًا على كلمته وعلى قسمه، وذلك تشجيعًا لهم في عملية هربهم هذه.

٦: ١٩ في عواصف الحياة وتجاربها، يعمل هذا الرجاء كمرساة للنفس. إن معرفتنا بأن تمجيدنا مضمون وأكيد، كما لو أنه حصل فعلاً من قبل، تحفظنا من الحيدان عن السبيل بفعل أمواج الشك والفشل العاتية.

إن هذه الرسالة غير مطروحة في رمال هذا العالم المتحركة، لكنها تثبت راسخة في المقدس السماوي. وبما أن رجاءنا هو المرساة، فهذا يعني أن رجاءنا مضمون في حضور الله نفسه داخل الحجاب. ويقينًا، على قدر ما أن المرساة حاضرة هناك، هكذا نحن أيضًا سنكون هناك.

٦: ٢٠ دخل يسوع أيضًا إلى المقدس الداخلي كسابق لأجلنا. إن حضوره هناك يضمن الدخول النهائي لجميع الذين ينتمون إليه. لا مغالاة إذا قلنا إن أبسط مؤمن على الأرض هو في يقين من جهة نصيبه في السماء، كيقين القديسين الذين سبقونا إليها والذين هم فيها الآن.

يكتب د. اندرسون بِري *D.Anderson-Berry* ما يلي:

> إن الكلمة المترجمة «**كسابق**» لم يَرِد ذكرها قطّ في أي مكان آخر من العهد الجديد. وهذا يعبِّر عن فكرة لم يلحظها النظام اللاوي، لأن رئيس الكهنة لم يدخل قدس الأقداس إلا كممثِّل فقط. كان يدخل إلى حيث لم يكن باستطاعة أحد آخر الدخول. لكن الرب الذي هو سابق لأجلنا، هو ضمانة لنا، إذ حيثما يكون هو، نكون نحن أيضًا. فهو ١ـ أعلن أمر وصولنا المقبل إلى هناك، ٢ـ امتلك أمجاد السماء لحسابنا، ٣ـ مضى للترحيب بشعبه عند مجيئهم، ولإحضارهم أمام الجلالة في السماء.

الصورة الرابعة هي صورة رئيس كهنة. لقد صار ربنا **على رتبة ملكي صادق رئيس كهنة إلى الأبد.** إن كهنوته الأبدي يضمن حفظنا الأبدي. وعلى قدر ما هي مضمونة عملية مصالحتنا مع الله بموت المسيح، هكذا نحن أيضًا مخلَّصون بحياته بصفته كاهننا عن يمين الله (رو٥: ١٠).

إن الكلام عن يسوع أنه رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق، يذكِّرنا بأن هذا الموضوع كان قد قطعه الكاتب في ٥: ١٠ عندما توسّع في تحذيره من الارتداد. والآن هو مستعد لاستئناف حديثه عن تفوّق كهنوت المسيح على كهنوت هارون. لقد رجع بمهارة إلى التسلسل الرئيسي للبحث.

٧: ١ كان ملكي صادق شخصية مُبهَمة ظهرت بشكل مختصَر على مسرح تاريخ البشرية (تك ١٤: ١٨-٢٠)، ثم توارت عن الأنظار. وبعد عدّة قرون، عاد داود ليذكر اسمه (مز ١١٠: ٤). ثم بعد مرور قرون إضافية أخرى، يظهر مُجدَّدًا في الرسالة إلى العبرانيين. ثمة أمر واضح وهو أن الله هو الذي رتب تفاصيل حياته حتى يُمسي رمزًا ممتازًا لربنا يسوع المسيح.

لنا في الأعداد الثلاثة الأولى من أصحاح ٧ بعض الحقائق التاريخية المختصة به. فالكاتب يذكِّرنا بأنه جمع في شخصه، وظيفتي **الملك والكاهن.** كان **ملك ساليم** (دعيت في ما بعد أورشليم)، **وكاهن الله العلي.** كان القائد السياسي

والروحي لشعبه. طبعًا، هذا هو قصد الله الأساسي، أن لا يكون أي انفصال بين ما هو دنيوي وما هو ديني. في زمن حكم الإنسان الخاطئ يلزم الفصل بين الكنيسة والدولة. أما عندما يملك المسيح بالعدل، فعندئذ فقط يُصبح ممكنًا الجمع بين الاثنين (إش٣٢: ١، ١٧).

ملكي صادق التقي إبراهيم عند رجوع هذا الأخير من انتصار عسكري، وباركه. إن مغزى هذا العمل حفظه الكاتب للعدد السابع. ولو كان في حوزتنا كتابات العهد القديم فقط، لما تمكّنا قط من إدراك المعنى العميق لهذه التفاصيل التي تبدو غير هامة.

٧: ٢ قسم (أعطى) **إبراهيم عُشرًا من غنائم الحرب لهذا** الملك الكاهن الذي يكتنفه الغموض. وعلينا مجدّدًا أن ننتظر حتى نبلغ الأعداد ٤، ٦، ٨-١٠ لنعرف المعنى الخفي لعُشر إبراهيم.

في الكتاب المقدس، يشير اسم الإنسان إلى ما هو عليه. إن اسم ملكي صادق يعني **"ملك البر"**، ولقبه **(ملك ساليم)** يعني **"ملك السلام"**.

إن ذكر البر أولاً، ومن ثم السلام، ذو معنى. فلا مكان للسلام إلا إذا وُجد البر أولاً.

إننا نُعاين هذا بوضوح في عمل المسيح. فعلى الصليب «الرحمة والحق التقيا البر والسلام تلاثما» (مز٨٥: ١٠). لقد بات باستطاعتنا أن ننعم بالسلام مع الله، لأن المخلّص لبّى كل مطالب الله البارة لجهة خطايانا.

٧: ٣ إن اللغز المتعلّق بملكي صادق يزداد عمقًا عندما نقرأ أن لا أب له ولا أم، ولا حتى نسب، أو ولادة أو موت. إذا سلخنا هذه التصريحات في قرينتها، نضطر بذلك إلى الاستنتاج أنه كان زائرًا من السماء أو من كوكب آخر. أو لعله كان من خلائق الله الخاصة.

لكن المفتاح إلى الفهم يكمن في النظر إلى هذه التصريحات في ضوء قرينتها. الموضوع، إذًا، هو الكهنوت. والكاتب يميّز بين كهنوت ملكي صادق وكهنوت هارون. كان على الرجل أن يكون قد وُلد في سبط لاوي وفي عائلة هارون حتى يصبح أهلاً للانخراط في كهنوت هارون. فأمر النسب كان هامًا للغاية. كذلك فإن أهليته بدأت عند الولادة وانتهت بالموت.

أما كهنوت ملكي صادق، فيختلف تمامًا. إنه لم يرث الكهنوت من جرّاء ولادته ضمن عائلة كهنة. الله، ببساطة، هو الذي اختاره واعتبره كاهنًا. **وبالنسبة إلى كهنوته، لا نرى ذكرًا لأبيه أو أمه أو نسبه.** كان هذا، في حالته هو، بلا أهمية. كذلك من حيث التدوين، لا نرى ذكرًا لولادته أو موته؛ إذًا كهنوته مستمرّ.

يجب ألا نستخلص أنه لم يكن لملكي صادق أبوان، وأنه ما ولد ولا مات البتة. ليس هذا هو المقصد هنا. فالفكرة هي أنه **بالنسبة إلى كهنوته**، لا نحصل على ذكر لهذه الإحصائيات الحيوية، لأن خدمته ككاهن لم تتعلق بها.

لم يكن هو ابن الله، كما ظن بعضهم خطأً، بل هو **مشبّه بابن الله** من هذا القبيل: أي استمرار كهنوته من دون انقطاع.

وفي هذا الصدد، سيبرهن الكاتب أن كهنوت ملكي صادق هو أعظم من كهنوت هارون. ويضم البرهان ثلاث حجج: الحجة حول العشور والبركة؛ والحجة بشأن التبديل الذي طرأ لجهة استبدال الكهنوت الهاروني؛ والحجّة لجهة استمرارية كهنوت ملكي صادق.

٧: ٤ في الأعداد ٤-١٠، الحجّة الأولى. إنها تبدأ بصفة تعجُّب غير مألوفة، يدعي على أساسها القراء إلى تأمل عظمة ملكي صادق. فإبراهيم، **رئيس الآباء** نفسه أعطاه **عُشرًا من رأس غنائم المعركة**. وبما أن إبراهيم كان من أعظم النجوم في الفضاء العبراني، فلا بد من أن يكون ملكي صادق نجمًا ذا قدر أعظم بعد.

٧: ٥ أما بالنسبة إلى الكهنة اللاويين، فكان **الناموس** يخوّلهم استيفاء **العشور** من زملائهم العبرانيين. وكان كل من الكهنة والشعب يرجع أصلهم إلى إبراهيم، أبي المؤمنين.

٧: ٦ ولكن، عندما أخذ ملكي صادق **العُشر** من **إبراهيم** (وهذا هو المقصود بالعبارة **قد عشّر إبراهيم**) كان أمرًا غير مألوف ومخالفًا للأعراف، لأن إبراهيم المدعو أن يكون أبًا للأمة التي يخرج منها المسيّا، كان يقدّم احترامًا لشخص لا علاقة له بالشعب المختار. لقد تخطى ملكوت ملكي صادق الحواجز العرفية جميعها.

ثمة حقيقة هامة أخرى، وهي أن **ملكي صادق بارك** إبراهيم. لقد قال: «مبارك أبرام من الله العلي مالك السماوات والأرض» (تك ١٤: ١٩، ٢٠).

٧: ٧ عندما يقوم رجل بمباركة شخص آخر، يفهم من ذلك أن الأكبر يبارك الأصغر. وطبعًا فهذا لا يعني البتة أي نقص على كلا الصعيدين الشخصي والأدبي، بل مجرد وضع أدنى.

علينا، ونحن نقرأ هذه الحجج المرتكزة على العهد القديم، أن نحاول تصور ما قد تكون عليه ردّات الفعل عند القرّاء العبرانيين. لقد ظلّوا باستمرار يحترمون إبراهيم بصفته واحدًا من أعظم أبطالهم القوميين، وكانوا في هذا على حق. لكنهم الآن يتعلمون أن إبراهيم حَسَب كاهنًا غير يهودي أعظم منه. يكفي أن تفكّر في هذا! كان ذلك في كتابهم المقدس طول الأمد، لكنهم لم يلاحظوه قط.

٧: ٨ بحسب كهنوت هارون، كان أناس **مائتون** (عرضة للموت) هم الذين يأخذون العشور. كان الكهنة يتعاقبون باستمرار. فيخدم كل واحد منهم جيله قبل رحيله. أما بالنسبة إلى ملكي صادق، فلا ذكر أنه مات، إذًا، باستطاعته أن يمثل كهنوتًا فريدًا في نوعه، وذلك من حيث كونه مستمرًا.

٧: ٩ كان ملكي صادق الآخذ العشور من **إبراهيم**، قد أخذها في الواقع من **لاوي أيضًا**. وبما أن لاوي كان رأس السبط الكهنوتي، فهذا يعني أن الكهنوت الهاروني قد أدى العشور لملكي صادق، وهكذا اعترف بتفوق هذا الأخير.

٧: ١٠ استنادًا إلى أي تسلسل حسابيّ، باستطاعتنا القول أن لاوي دفع العشور لملكي صادق؟ أولاً، كان إبراهيم في الواقع هو من دفع العشور. كان أبًا لجد لاوي. ومع أن لاوي لم يكن قد وُلد بَعد، فقد كان في صُلب إبراهيم، أي أنه كان مقرَّرًا أمر تحدره من رئيس الآباء. كان إبراهيم، في الواقع، يتصرف كممثّل عن ذرّيته كلها عندما أعطى العُشر لملكي صادق. من هنا جاء لاوي، مع الكهنوت الذي انبعث منه، في المرتبة الثانية بعد ملكي صادق وكهنوته.

٧: ١١ في الأعداد ١١-٢٠ نجد الحجة الثانية التي تظهر تفوق كهنوت ملكي صادق على كهنوت هارون. وهذه الحجة مفادها أنه قد حصل تغيير في الكهنوت. لقد جاء كهنوت المسيح ليحل محل الكهنوت اللاوي. لم يكن هذا بالأمر الضروري لو استطاع هذا الأخير تتميم القصد منه بشكل كامل ونهائي.

في الواقع، لم يكن مستطاعًا بلوغ **الكمال** بحسب النظام **اللاوي**، فالخطايا لم تُنزع قَطّ، ولا كان باستطاعة العابدين أن ينعموا براحة الضمير. إن الكهنوت الذي أُعدَّ تحت ناموس موسى، لم يكن هو النهائي.

ثمة صنف آخر من الكهنوت يتم العمل به الآن. لقد، جاء الآن الكاهن الكامل، وكهنوته ليس على **رتبة هارون**، بل على **رتبة ملكي صادق**.

٧: ١٢ كون **الكهنوت** قد **تغيّر** يحتّم الاستخلاص أن نظام الناموس كله، وقد كان الكهنوت مبنيًا عليه، قد تغيّر أيضًا. إنه تصريح بتغيير جذري للغاية. وهو أشبه بالبوق الذي ينادي بإخراج النظام العتيق خارجًا، وبإدخال النظام الجديد مكانه إذ لم نعُد البتّة تحت الناموس.

٧: ١٣ كون الناموس قد تغير، يتضح من حقيقة أن الرب يسوع كان **شريكًا في سبط** يمنعه الناموس اللاوي من القيام بأية مهام كهنوتية.

٧: ١٤ فربنا قد طلع من سبط يهوذا. ولم يكن التشريع الموسوي يسمح لأي كان من هذا السبط أن يكون كاهنًا. لكن يسوع هو كاهن. فكيف يكون ذلك؟ لا شك إذًا، في أن الناموس قد تغيّر.

٧: ١٥ للكاتب مزيد من الدلائل على أن تغييرًا كبيرًا قد طرأ على الشريعة الكهنوت منها **قيام كاهن من صنف آخر، على شبه ملكي صادق**، كما أنّ مؤهلاته للخدمة تختلف تمامًا عن تلك التي لأبناء هارون.

٧: ١٦ كان الكهنة اللاويون يصبحون أهلاً للخدمة عندما يستوفون الشروط الشرعية المختصة بالنسب الجسدي. كان ينبغي لهم أن يكونوا قد ولدوا في سبط لاوى، ومن عائلة يهوذا.

لكن ما يؤهل الرب ليكون كاهنًا كملكي صادق هو أن لديه **حياة لا تزول**. فالمسألة لا تتعلق بسلالة، بل بقوة شخصية وذاتية. إنه حي إلى الأبد.

٧: ١٧ وهذا ما تؤكّده كلمات المزمور ١١٠: ٤ حيث يتطلع داود قُدُمًا إلى كهنوت المسيح: «**أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق**». إن التشديد هنا هو على العبارة **إلى الأبد**. فلا نهاية لخدمته، لأن حياته لا تنتهي.

٧: ١٨ إن الوصية التي أدخلت الكهنوت الهارونى، قد تم **إبطالها من أجل ضعفها وعدم نفعها**. لقد أُلغيت عندما جاء المسيح.

بأي معنى كانت الوصية ضعيفة وغير نافعة؟ ألم تصدر عن الله نفسه؟ هل يعطي الله أمرًا عاجزًا وغير نافع؟ والجواب هو أن الله ما قصد قطّ أن يشكّل هذا شريعة الكهنوت النهائية. فالشريعة مهّدت لمجيء الكهنوت الإلهي النموذجي. كانت صورة جزئية وموقّتة لما سوف يكون كاملاً ونهائيًا.

٧: ١٩ كانت الشريعة أيضًا ضعيفة وغير نافعة بمعنى أنها **لم تكمّل** شيئًا. لم تؤهل الشعب قَطّ للدخول إلى حيث حضرة الله في قدس الأقداس. كان هذا يكرّس

البُعد بين الله والناس، مذكِّرًا، باستمرار، بأنه لم تتم بعد معالجة مسألة الخطية مرة وإلى الأبد.

ولكـن الآن **يصير إدخال رجاء أفضل بـه نقترب إلى الله**. وهـذا **الرجاء الأفضل** هو الرب يسـوع نفسـه. إن الذين يعتبرونه رجاءهم الأوحد، بات باستطاعتهم الاقتراب إلى الله في أي وقت.

٧: ٢٠ لم يطرأ تغيير على رتبة الكهنوت وعلى شـريعة الكهنوت فحسـب، بل تناول هذا التغيير أيضًا طريقة التنصيـب. فالفكرة هنا تتمحور حول اسـتخدام الله **القسم** بشـأن كهنوت المسيح. فالقسـم يعنى إدخال ما هو أبدي ولا يمكن تغييره.

يقول راينزبورى *Rainsbury*: "لا شـيء أقل من قسـم الله القادر على كل شيء، يضمن فعالية كهنوت ربنا المبارك يسوع وأبديته".

٧: ٢١ كان كهنـة هارون يُعيَّنون **من دون قسـم**. إذًا، فالمعنـى المتضمن هو أن كهنوتهـم قُصِد منه أن يكون موقّتًا وليس دائمًا.

لكن الله خاطب المسيح **بقسم** عندما اعتبره كاهنًا. نجد صيغة القسم في المزمور ١١٠: ٤: «**أقسم الرب ولن يندم. أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق**».

يقول هندرسون *Henderson*:

> الله يدعم تكليف المسيح كهنوته بالحقائق الأبدية لعرشه تعالى، وبالصفات التي لا تقبل التغير في طبيعته. إن كان يمكـن أن تتغير هـذه فعندئـذ يكون بوسـع الكهنوت الجديد أن يتغيّر، وإلا فلا مجال لذلك.

٧: ٢٢ نسـتخلص مـن هذا أن **يسوع هو ضامـن لعهد أفضل**. كان الكهنوت الهاروني جزءًا من العهد القديم أمـا كهنوت المسـيح، فيتعلق **بالعهـد** الجديد. فالعهد والكهنوت يثبتان أو يسقطان معًا.

إن العهـد **الجديـد** هو اتفاق غير مشـروط، على أساس النعمة، سـيبرمه الله مع بيت إسرائيل ومع بيت يهـوذا عندما يقيم الرب يسـوع ملكوته على الأرض (إر ٣١: ٣٣، ٣٤). ينعم المؤمنون اليوم ببعض بركات العهد الجديـد، لكنه لن يتحقق بشـكل كامل إلا بعد عملية رد الأمة القديمة إلى الله وافتدائها قوميًّا.

يسوع هو **ضامن العهد الجديد**. لقد استطاع بموته ودفنه وقيامته أن يؤمِّن أساسًـا بارًا يمكن الله من تتميم بنـود العهد. كما أن كهنوته الذي لا ينتهي هو مرتبط أيضًا، بشكل حيوي، بحتمية تتميم بنود العهد.

٧: ٢٣ نأتـي الآن إلى الحجة الثالثـة والأخيرة من جهة تفوق كهنوت ملكي صادق.

كان كهنة الشـعب القديم **كثيريـن**. ويقال إنه كان هنـاك أربعة وثمانون **رئيس كهنـة** في تاريخ الأمة، وبالطبع يُضاف إليهم عدد لا يُحصى من الكهنة الأدنى مقامًا. كان الأشخاص يتغيرون بشكل دوري من جرّاء عامل الموت. وكانت الخدمة تعانى هذا التبديل الذي لا مفر منه.

٧: ٢٤ أما بالنسـبة إلى كهنوت المسـيح، فهذا العجز غير وارد، لأنـه **يبقى إلى الأبد**. إن **كهنوتـه** لا يمكن أن ينتقـل إلى آخـر، ولا انقطاع لفعاليتـه. فهو لا يزول ولا يمكن تسليمه لآخرين.

٧: ٢٥ وبمـا أنه **حـي** إلى الأبـد، يقدر أن يخلِّـص أيضًا إلى التمـام الذين يتقدمون بـه إلى الله. نحن غالبًـا ما نفهم أن الإشـارة في هذا العدد هـي إلى عمله لخـلاص الخطاة من

عقاب الخطية، ولكن الكاتب يتحدث، في الواقع، عن عمل المسيح لخلاص القديسين من سلطة الخطية. إذًا، ليس الكلام عن دوره مخلِّصًا بقدر ما هو عنه رئيس كهنة. فضمان المؤمنين الأبدي يستند إلى **شفاعته** الدائمة **بهم**. **هو يقدر أن يخلِّصهم** إلى التمام، لأن خدمته الحاضرة لأجلهم عن يمين العظمة لا يمكن أن يقطعها الموت.

٢٦:٧ إن كهنوت المسيح هو أعظم من كهنوت هارون لسبب تميزه الشخصي. فهو **قدوس** في مقامه أمام الله، كما أنه **بلا شر**، أو صادق وبار في معاملاته مع الناس، إنه **بلا دنس** في خُلُقه الشخصي؛ كما أنه **منفصل عن الخطاة** في حياته عن يمين الله. **لقد صار أعلى من السماوات** في بهائه الحاضر والعتيد. **يليق بنا** أن يكون لنا **رئيس كهنة كهذا**.

٢٧:٧ ليس لرئيس الكهنة الذي لنا، **اضطرارٌ** أن يقدِّم ذبائح **كل يوم**، **عن خطايا نفسه**، لأنه خالٍ من الخطية بشكل مُطلق. كما أنّ أمرًا عجيبًا ثالثًا يختلف به عن الكهنة السابقين، هو كونه **قد قدَّم نفسه عن خطايا الشعب**. فكاهننا الإلهي بذل نفسه بوصفه الذبيحة. كم هي رائعة ومنقطعة النظير، نعمة يسوع هذه!

٢٨:٧ الناموس يقيم رؤساء كهنة غير كاملين، إنهم يتّصفون **بالضعف** والعجز، إذ إن قداستهم تقتصر على الصعيد الطقسي فقط.

أما **قَسَم** الله، بعد الناموس، فيقيم **ابنًا مكملاً إلى الأبد** رئيس كهنة. سبق للكاتب أن أشار إلى هذا القَسَم في العدد ٢١ من هذا الفصل، وقد اقتبسه من المزمور ١١٠: ٤.

ثمة أمور أخرى عظيمة متضمَّنة في المادة التي تناولناها حتى الآن. لقد حلَّ الكهنوت الإلهي والأبدي مكان الكهنوت البشري. فما أغنى الناس، إذًا، يقيمون أنظمة كهنوت على شاكلة العهد القديم، متطفلين بذلك على مهام رئيس الكهنة العظيم الذي لنا.

ب. خدمة المسيح، بشكل عام، أعظم من خدمة هارون (أص٨)

١:٨ في الأعداد التي تلي، تظهر خدمة المسيح على أنها أعظم من خدمة هارون، لأنه يخدم في مسكن أفضل (ع٧-١٣).

لقد وصل الكاتب الآن إلى «**رأس الكلام**» في بحثه. وهذا ليس في معرض تلخيص ما قيل قبلاً، لكنه يذكر الفكرة الرئيسية التي يتطرق إليها في الرسالة.

لنا رئيس كهنة كهذا. لا تخلو الكلمة **لنا** من نبرة انتصار. إنها جواب لأولئك القوم من اليهود الذين طالما سخروا بالمسيحيين الأولين بكلمات كهذه: "لنا خيمة الاجتماع.. لنا الكهنوت.. لنا التقدمات.. لنا الشعائر.. لنا الهيكل.. لنا الثياب الجميلة المختصة بالكهنوت". إن الجواب الواثق عند المؤمن هو: "نعم، لكم الظلال، لكن لنا الحقيقة.. لكم الشعائر، لكن لنا المسيح.. لكم الصور، لكن لنا الشخص. كما أنّ رئيس الكهنة الذي لنا **جالس عن يمين العظمة في السماوات**. لم يسبق لأي رئيس كهنة آخر أن يجلس إقرارًا بأن العمل قد تمّ، ولا حاز أحد مقامًا كهذا من الكرامة والقدرة".

٢:٨ إنه يخدم الشعب **في أقداس** السماء. وهذا هو المسكن **الحقيقي**، الذي لم يكن المسكن الأرضي سوى مجرد نسخة منه أو تمثيل له. هذا **المسكن الحقيقي نصبه الرب لا إنسان**، على خلاف حال المسكن الأرضي.

٣:٨ بما أن **تقديم قرابين وذبائح**، كانت إحدى مهام **رئيس الكهنة** الرئيسيّة، كان من الضروري أن يقوم بهذا أيضًا رئيس الكهنة الذي لنا.

القرابين هي لفظة عامة تشتمل على جميع أصناف التقدمات التي تُقرَّب إلى الله. كانت **الذبائح** قرابين يتم فيها ذبح الحيوان. فما الذي يقدمه يسوع؟ لا إجابة مباشرة عن هذا السؤال حتى نصل إلى الأصحاح التاسع.

٨: ٤ يتخطى هذا العدد مسألة ما يقدِّمه المسيح، وهكذا يكتفي بتذكيرنا بأنه **لو كان على الأرض**، لَمَا كان أهلاً لتقديم قرابين في المسكن أو في الهيكل، لأن ربنا تحدَّر من يهوذا، لا من سبط لاوي أو من عائلة هارون. من أجل هذا، لم يكن يستوفي الشروط التي تمكّنه من الخدمة داخل الأقداس الأرضية. وعندما نقرأ في الأناجيل عن يسوع أنه دخل الهيكل (راجع لوقا ١٩: ٤٥)، علينا أن نفهم أنه دخل فقط إلى الديار المحيطة بالهيكل لا القدس أو قدس الأقداس.

وهذا يثير، طبعًا، سؤالاً: هل قام المسيح بأيٍّ من مهام رئيس الكهنة خلال حياته على الأرض، أم أنه لم يبدأ عمله الكهنوتي إلا بعد صعوده؟ إن الفكرة المذكورة في العدد الرابع هي أنه ما كان على الأرض أهلاً ليكون كاهنًا لاويًّا، ولم يكن باستطاعته أن يخدم في هيكل أورشليم. لكن هذا لا يعني أنه كان محظورًا عليه **تتميم مهام كاهن على رتبة ملكي صادق**. على كل حال، إن صلاته في يوحنا ١٧، رفعها كرئيس كهنة، كما أن تقديمه نفسه بوصفه الذبيحة الواحدة الكاملة في الجلجثة كان بكل تأكيد عملاً كهنوتيًّا (راجع ٢: ١٧).

٨: ٥ كانت خيمة الاجتماع على الأرض نسخة طبق الأصل من **المسكن** السماوي. وطريقة تنسيقه تشير إلى الأسلوب الذي ينبغي للشعب أن يعبدوا الله به. لقد كان هناك باب الدار الخارجية، ثم مذبح المحرَقة، ثم المرحضة. وكان الكهنة بعد ذلك يدخلون إلى القدس ورئيس الكهنة إلى قدس الأقداس حيث كان الله يعلن ذاته.

وبالنسبة إلى **المسكن**، لم يُقصَد منه قَطّ أن يكون المقدس النهائي، بل كان مجرد **شبه وظل**. فعندما دعا الله موسى إلى جبل سيناء، وكلّفه مهمة بناء المسكن، أعطاه توجيهات واضحة ليعمل بموجبها. كان هذا المثال رمزًا لحقيقة أسمى، وروحية **وسماوية**.

لماذا يحرص الكاتب على التشديد على هذا الأمر بهذا الشكل؟ كان ينبغي، ببساطة، أن يولِّد انطباعًا عند أي من تسوَّل له نفسه الرجوع إلى الديانة اليهودية، إنه بفعله هذا يترك الحقيقة من أجل الظلال، عوضًا عن الانتقال من الظل إلى الحقيقة.

يُعلِّم العدد الخامس، بوضوح، أن ترتيبات العهد القديم وتنظيماته كانت رموزًا لحقائق سماوية. ولنا هنا تبرير للتعليم المستند إلى الرموز عندما يكون مطابقًا للحق الكتابي دون إن يتطور ليصبح خياليًّا.

٨: ٦ يشكِّل هذا العدد جملة انتقالية بين موضوع المسكن الأعظم والبحث المختص **بالعهد الأفضل**.

أولاً، ثمة مقارنة. فكما أن خدمة المسيح هي أعظم من خدمة كهنة هارون، هكذا أيضًا العهد الذي هو وسيطه هو أعظم من العهد القديم.

ثانيًا، ثمة سبب يُعطى: هذا **العهد هو أفضل لأنه مُثبَّت على مواعيد أفضل**.

إنَّ خدمة المسيح هي أفضل بما لا يُقاس. لقد قدَّم نفسه، ولم يقدِّم حيوانًا. لقد قدَّم دمه الثمين، لا دم العجول والكباش. لقد رفع الخطايا، ولم يكتفِ بتغطيتها، كما أنه منح المؤمنين ضميرًا كاملاً، لا تذكارًا

سنويًا للخطايا. لقد فتح الطريق أمامنا للدخول إلى حضرة الله، لا أن نقف خارجًا وعلى بُعد.

إنه **وسيط أيضًا لعهد أعظم**. إنه، بصفته وسيطًا، يقف بين الله والإنسان ليسدّ ثغرة العداوة. قام جرِفث توماس *Griffith Thomas* بمقارنة مختصرة لكلا العهدين:

> العهد هو أفضل لأنه مُطلق وليس مشروطًا، وهو روحي وليس جسديًا، كوني لا محلي، أبدي لا موقّت، فردي لا قومي، داخلي لا خارجي.

إنه **عهد أفضل** لأنه مؤسَّس على **مواعيد أفضل**. فعهد الناموس وعد بالبركة نتيجة للطاعة، لكنه هدَّد بالموت نتيجة للعصيان. لقد طالب بالبر دون أن يمنح القدرة على إنتاجه.

إن العهد الجديد هو عهد نعمة غير مشروط. إنه يحسب برًّا حيث لا برّ. إنه يعلِّم الناس العيش بالبر، ويعزِّزهم بالقوة اللازمة، ويكافئهم عندما يطبّقون ذلك.

٨: ٧ ذلك العهد الأول، ما كان كاملاً، أي إنه لم ينجح في تحقيق علاقة مثالية بين الإنسان والله. لم يُقصد منه قطّ أن يكون العهد النهائي، لكنه كان ممهِّدًا لمجيء المسيح. فالحديث عن عهد ثانٍ لاحق، يُظهر أن **العهد الأول** ما كان مثاليًا.

في الواقع، لم تكن المشكلة في العهد الأول بحد ذاته، إن «الناموس مقدَّس، والوصية مقدسة وعادلة وصالحة» (رومية ٧: ١٢). لكن المشكلة تكمن في الناس الذين أخذوا الناموس كان على الناموسي أن يعمل من خلال أناس هم أشبه بمواد خام حقيرة. وهذا الأمر مذكور هنا: **لأنه يقول لهم لائمًا**... فالله لام شعبه الذي دخل في عهد معه، ولم يلُم العهد. كان العهد الأول مبنيًا على الوعد بالطاعة الذي قطعه الإنسان (خر ١٩: ٨؛ ٢٤: ٧)، وبالتالي لم يُكتب له أن يدوم طويلاً. أما العهد الجديد، من الأول إلى الأخر، فهو بيان بما وافق الله على فعله، وهذا ما يشكِّل قوّته.

في هذا العدد، يقتبس الكاتب من إرميا ٣١: ٣١-٣٤ ليُظهر كيف أن الله، في الأسفار المقدسة العبرية، وعد بعهد جديد. إن الحجّة بجملتها تتمحور حول الكلمة «**جديد**». فإن كان القديم كافيًا ويفي بالغرض، فلِمَ الحاجة بعد إلى آخر جديد؟

إلا أن الله قطع وعدًا بأنه **سيكمل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدًا جديدًا**. إن هذا العهد الجديد يختصّ، بشكل أساسي بأمة إسرائيل وليس بالكنيسة. وسيتحقق عند رجوع المسيح ليملك على الأمة التائبة والمفدية. والى أن يجيء ذلك الوقت، ينعم جميع المؤمنين ببعض بركات هذا العهد. وهكذا نجد أنه عندما ناول المخلِّص تلاميذه الكأس، خاطبهم بالقول: «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلَّما شربتم لذكرى» (١كو ١١: ٢٥).

اقتبس هندرسون *Henderson* ما يلي:

> وهكذا نميِّز بين التفسير الرئيسي المختص بالشعب القديم والتفسير الثانوي، أو التطبيق الروحي على الكنيسة اليوم. نحن الآن ننعم، بقوة الروح القدس، ببركات العهد الجديد، لكن هناك، بحسب وعد الله، المزيد من الإعلانات المستقبلية المختصة بذلك الشعب.

٨: ٩ لقد حدد الله في وعده بأن العهد الجديد لن يكون كالعهد الذي عمله مع آبائهم يوم أمسك بيدهم ليخرجهم

من أرض مصر. إذًا، كيف يختلف عنه؟ لا يصرح الرب بذلك، لكن ما تبقى من العدد قد يحتوى على إشارة ضمنية إلى الجواب: **لأنهم لم يثبتوا في عهدي وأنا أهملتهم يقول الرب**. لم ينجح عهد الناموس لأنه كان مشروطاً كان يطلب الطاعة من شعب لا قدرة له على تقديمها. ولكن الله، بجعله العهد الجديد عهد نعمة غير مشروط، تجنّب بذلك إي احتمال للفشل، لأن أمر تتميمه لا يعتمد إلا عليه وحده؛ وحاشا لله أن يفشل.

يحتوي الاقتباس من إرميا على تغيير جذري. إن كلمات إرميا ٣١: ٣٢ وردت في النص العبراني على هذا الشكل: "مع أني كنت بمثابة زوج لهم". كما نقرأ في بعض الترجمات الأولى لإرميا: "فإني أهملتهم (أو ابتعدت عنهم)". إن الروح القدس الذي أوحى لإرميا بالكلمات، والذي سهر على حفظ الكتاب المقدس، هو الذي أرشد كاتب الرسالة إلى العبرانيين إلى انتقاء هذه القراءة البديلة.

٨: ١٠ لاحظ كيف يتحدث الله بصيغة المتكلم. إن العهد القديم يخبر الإنسان ما ينبغي له أن يفعله، أما العهد الجديد فيخبرنا بما سيفعله الله. **بعد** أن تكون قد مضت **الأيام** على عصيان إسرائيل، **سيجعل نواميسه في أذهانهم**، حتى يتسنى لهم أن يعرفوها، **وفى قلوبهم** حتى يتمكّنوا من محبتها. سيرغبون في الطاعة، لا خوفًا من العقاب بل محبة به تعالى. لن تُكتب النواميس في ما بعد على حجارة، بل على ألواح القلب اللحمية.

أنا أكون لهم إلهًا وهم يكونون لي شعبًا. كان العهد القديم قد دعا الإنسان إلى البقاء بعيدًا، ولكن النعمة تدعوه إلى الاقتراب. كما نرى في هذا العدد علاقة لا تنفصم عُراها، وضمانة غير مشروطة. ولا يمكن لأي شيء أن يقطع هذا الرباط المقتنى بالدم.

٨: ١١ يشتمل العهد الجديد أيضًا على معرفة بالرب كونية وشاملة. فخلال مُلك المسيح المجيد، لن يحتاج الإنسان إلى أن **يُعلِّم قريبه** أو أخاه أن **يعرف الرب**. **فسيكون عند كل واحد من صغيرهم إلى كبيرهم معرفة** داخلية بالرب. «لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطى المياه البحر» (إش ١١: ٩).

٨: ١٢ والأعظم من كل هذا، أن العهد الجديد يَعِد بالرحمة لشعب شرير وبغفران أبدي **لخطاياهم**. كان الناموس حازمًا جدًا: «وكل تعدٍّ ومعصية نال مجازاة عادلة» (عب ٢: ٢).

إلى ذلك لم يكن باستطاعة الناموس أن يعالج الخطايا بشكل فعّال. لقد رُتِّب للتكفير عن الخطايا، لا لنزعها (إن الكلمة العبرانية للكفارة تُشتقّ من فعل بمعنى غطّى). كانت الذبائح بحسب الناموس تجعل الإنسان طاهرًا من الناحية الطقسية، أي كانت تؤهله للاشتراك في الحياة الدينية للأمة. لكن هذا التطهير الطقسي كان خارجيًا، لم يكن ليلمس حياة الإنسان؛ لم يكن ليمنحه تطهيرًا أدبيًا أو يعطيه ضميرًا نقيًا.

٨: ١٣ كون الله يُدخل **عهدًا جديدًا**، يعنى أن **الأول** هو **عتيق**. وعليه، يجب عدم التفكير في الرجوع إلى الناموس. لكن هذا بعينه ما تجرّب بعض الذين ادّعوا الإيمان بأن يفعلوه. فجاء الكاتب يُحذّرهم من أن العهد الناموسي قد طواه الزمن، وقد تمّ إدخال عهد جديد. وبالتالي، عليهم أن يواكبوا ما يحدثه الله.

ج. *ذبيحة المسيح أعظم من ذبائح العهد القديم* (٩: ١-١٠: ١٨).

٩: ١ ألمح الكاتب، في ٨: ٣، إلى ضرورة أن يكون لكل رئيس كهنة شيء يقدّمه. وهو، في هذا العدد، يهم بالبحث في ذبيحة رئيس الكهنة العظيم الذي لنا، ومفارقته مع قرابين العهد القديم. فيمهّد لهذا الموضوع بعرض مراجعة سريعة لترتيب المسكن وللأنظمة المتعلقة بالعبادة.

٩: ٢ كان **المسكن** أشبه بخيمة، حيث سكن الله في وسط الشعب القديم منذ حلولهم في جبل سيناء إلى وقت بناء الهيكل. كانت البقعة المحيطة بالمسكن تسمّى الدار الخارجية. وكان يلفّها سياج مؤلّف من سلسلة من العوارض النحاسية، تداخلها قطع من الكتان. وإذ كان العبراني يدخل دار الخيمة عبر الباب الشرقي، كان يجد مذبح المحرقة الذي كانت تُذبح عليه الحيوانات وتُحرق (وتُوقَد)؛ ومنه إلى المرحضة، وهو وعاء نحاسي كبير يستعمله الكهنة لغسل أيديهم وأرجلهم.

كان طول المسكن نفسه نحو ٤٥ قدمًا (١٣,٥ مترًا)، وعرضه ١٥ قدمًا (٤,٥ متر)، وارتفاعه ١٥ قدمًا (٤,٥ متر). وكان ينقسم إلى حجرتين: الحجرة الأولى أو القدس، وكان طولها ٣٠ قدمًا (٩ أمتار)، أما الثانية أو قدس الأقداس، فكان طولها ١٥ قدمًا (٤,٥ متر).

كانت الخيمة تتألف من هيكل خشبي تغطّيه شُقق مصنوعة من شعر الماعز وستائر من جلود الحيوانات تقيه العوامل الجوية. كانت هذه الأغطية تكوّن جزأي الخيمة العلوي والخلفي، بالإضافة إلى جوانبها أيضًا. وكان الجانب الأمامي من المسكن مصنوعًا من حجاب مطرّز.

كان القدس يضم ثلاث قطع من الأثاث:

١- **المائدة** وعليها اثنا عشر رغيفًا أو قرصًا من الخبز، تمثّل أسباط الأمة الاثني عشر. وكان هذا الخبز يُدعى خبز الوجوه (الحضرة الإلهية) لأنه كان يُجعل أمام وجه الله دائمًا.

٢- المنارة الذهبية ذات الشُعب السبع المتّجهة إلى فوق، والتي تحمل مصابيح الزيت.

٣- مذبح البخور الذهبي، حيث كان يُوقد البخور المقدّس صباحًا ومساءً.

٩: ٣ ووراء الحجاب الثاني، كان هناك **قدس الأقداس**، حيث يُعلن الله ذاته في سحابة نيّرة متوهّجة. وهذا المكان كان الوحيد على الأرض الذي يجوز فيه الاقتراب منه - تعالى - بواسطة دم الكفارة.

٩: ٤ كانت هذه الحجرة الثانية من المسكن الأساسي تحتوي على **تابوت العهد**، وهو صندوق خشبي كبير **مغشّى** من كل جهة بالذهب. وداخل الصندوق **قسط من ذهب فيه المن وعصا هارون التي أفرخت ولوحا العهد.** (في ما بعد زمن تشييد الهيكل، لم يكن تابوت العهد يضم سوى لوحي الشريعة — راجع ١ ملوك ٨: ٩).

يذكر العدد الرابع أن **مبخرة من ذهب** كانت أيضًا داخل قدس الأقداس. إن الكلمة اليونانية المترجمة **مبخرة** قد تعني إما مذبح البخور (المذكور عنه في خروج ٣٠: ٦ أنه داخل القدس)، وإما **المبخرة** التي فيها كان رئيس الكهنة يحمل البخور. والاحتمال الأخير هو الأفضل، لقد اعتبر الكاتب أن **المبخرة** كانت في قدس الأقداس، لأن رئيس الكهنة كان في يوم الكفارة يحملها من مذبح البخور إلى قدس الأقداس.

٩: ٥ كان **الغطاء** الذهبي لتابوت العهد يعرف **بكرسي الرحمة**. وفوقه كان شكلان من ذهب هما **الكروبان**. كان يتواجهان أحدهما مع الآخر، وقد نشرا

أجنحتهما وحنيا رأسيهما فوق غطاء التابوت.

يتوقف الكاتب عند هذا الحد من الوصف المختصر، فهو لا يقصد أن يغوص في التفصيل، لكنه اكتفى بعرض ما كان عليه تقسيم المسكن، وما يبرزه ذلك بشأن طريقة الاقتراب إلى الله.

٩: ٦ بما أن الكاتب مزمع أن يفارق بين تقدمة المسيح والتقدمات اليهودية، فإنه يحتاج أولاً إلى وصف ما كان مفروضًا بحسب الناموس. كانت أمامه مجموعة كبيرة من جملة الشعائر آنذاك لكنه اختار الذبيحة التي كانت تقرَّب في يوم الكفارة العظيم (لا ١٦)، وهي الأهم في النظام الناموسي كله. فإذا تمكّن من برهان تفوّق عمل المسيح على عمل رئيس الكهنة في ذلك اليوم البارز في تقويم الشعب القديم الديني، يكون بذلك قد حقّق هدفه.

كان يحقّ للكهنة أن يدخلوا إلى الخيمة الخارجية، أي إلى القدس، وكان يحصل ذلك باستمرار عند تأديتهم مهامهم الطقسية. أما عامة الشعب فلم يكن يُسمح لهم بالدخول إلى هذه الغرفة بل كان عليهم المكوث في الخارج.

٩: ٧ كان بوسع إنسان واحد فقط في العالم الدخول إلى قدس الأقداس: إنه **رئيس الكهنة** في الأمة القديمة. وهذا الرجل الواحد المنتمي إلى عرق واحد، وإلى سبط واحد وعائلة واحدة، كان باستطاعته الدخول في يوم واحد من السنة فقط: يوم الكفارة. وعند دخوله كان يلزم أن يحمل معه وعاء من الدم **يقدّمه عن نفسه وعن جهالات الشعب**.

٩: ٨ كان لهذا العمل معانٍ روحية عميقة **فالروح القدس** علّم أن الخطية أبعدت الإنسان عن الله، وأنه ينبغي للإنسان أن يقترب إلى الله من خلال وسيط، وأن الوسيط لا يقوى على الاقتراب من الله إلا من خلال دم ضحية مذبوحة. فالدرس إذًا، هو أن الطريق إلى محضر الله **لم يُظهر بَعدُ** للعابدين.

وهكذا استمرت إمكانية الدخول هذه بشكلها غير الكامل **مادام المسكن الأول له إقامة**. قد تكون ترجمة داربي *Darby* هي المفضّلة هنا: "مادام المسكن الأول محتفظًا بمكانته". في أيام مُلك سليمان، حلّ الهيكل مكان المسكن، لكن بقيت له مكانته إلى زمن موت المسيح، ودفنه وقيامته. إن ما أعلنه من مبادىء تختصّ بالاقتراب من الله ظلت سارية المفعول إلى أن انشق حجاب الهيكل من فوق إلى أسفل.

٩: ٩ كان نظام المسكن رمزًا للوقت الحاضر. كان صورة لشيء أفضل في المستقبل، وتمثيلاً غير كامل لعمل المسيح الكامل.

لم يكن باستطاعة **القرابين والذبائح** أن **تكمّل** العابدين من **جهة الضمير**. ولو أنه حصل غفران كامل للخطايا، لكان قد تحرر **ضمير** مُقدِّم الذبيحة من ذنب الخطية. لكن هذا لم يحصل قط.

٩: ١٠ لم تكن التقدمات اللاوية تعني، في الواقع، إلا بالنجاسات الطقسية فقط. كانت تتعلق بمسائل خارجية، **كالأطعمة والأشربة** الطاهرة وغير الطاهرة، **والغسلات** الشعائرية التي تعالج النجاسة الطقسية في الشعب، من دون أن تتطرّق إلى عدم النقاوة الأدبية.

كانت القرابين تختصّ بشعب كانت تربطه بالله علاقة عهد. وكان القصد منها الإبقاء على الشعب في حالة من الطهارة الطقسية، بحيث تمكّنهم من العبادة. لم تكن لها أية علاقة بالخلاص أو بالتطهير من الخطية. فالشعب، كانوا يخلصون بالإيمان بالرب، على أساس عمل المسيح الذي كان ما يزال طيّ المستقبل.

أخيرًا، كانت الذبائح مؤقّتة. **كانت موضوعة إلى وقت الإصلاح.** وهذا ما يشير قُدُمًا إلى مجيء المسيح وإلى تقدمته الكاملة. فالحقبة المسيحية هي وقت الإصلاح المذكور هنا.

٩: ١١ المسيح جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة، أي للبركات العميقة التي يغدقها على الذين يقبلونه.

إن مَقدِسَه هو أعظم وأكمل. وهو **غير مصنوع بيدٍ،** بمعنى أنه غير مشيَّد بمواد بناء من هذا العالم. إنه مَقدِس السماء حيث مقر الله.

> ليس مكان خدمته في هيكل بالأيدي مصنوع
> بل في السماء عينها، كهنوته سماوي يسوع
> وفيه تمت كل ظلال الناموس، ليس إليها الآن رجوع.
>
> *توماس كلي Thomas Kelly*

٩: ١٢ لقد دخل ربنا إلى الأقداس مرة واحدة. عند صعوده، دخل إلى حضرة الله بعد أن أكمل عمل الفداء في الجلجثة. حري بنا ألا نكف عن الابتهاج بهذه العبارة "**مرة واحدة**". لقد أكمل العمل. فحمدًا للرب!

لقد **قدَّم دم نفسه،** لا دم الثيران والتيوس. فدم الحيوان لا يقدر أن يرفع الخطايا. كانت فعاليته تقتصر فقط على حالات الإساءة العملية من جهة الطقوس الدينية. لكن دم المسيح ذو قيمة غير محدودة؛ فهو يكفي لتطهير كل الخطايا لكل الناس الذين عاشوا من قبل، والذين يعيشون الآن، والذين سيعيشون في المستقبل. لاشك في أن فعاليته لا تنطبق إلا على الذين يُقبلون إليه بالإيمان. لكن لا حدود لقدرته على التطهير.

بفضل تقدمته أو ذبيحته، أحرز **فداءً أبديًّا.** كان رؤساء الكهنة السابقون يحرزون تكفيرًا سنويًّا. وشتان ما بين الاثنين!

٩: ١٣ في هذا العدد ينتقل الكاتب إلى طقس **العجلة الحمراء** لتوضيح الفرق بين قربان المسيح والشعائر الناموسية. فالعبراني، بحكم الناموس، إذا مسّ جسد ميت، يُصبح غير طاهر طقسيًّا لمدة سبعة أيام. وكان العلاج يقضي بمزج **رماد عِجلة** مع مياه نبعٍ نقية، لرشِّه على الإنسان المتنجِّس في اليومين الثالث والسابع. وهكذا يُصبح طاهرًا.

كتب مانتل *Mantle*:

> كان الرماد بمثابة خُلاصة لخصائص ذبيحة الخطية، ومن الممكن الاستعانة به في أي وقت بقليل تعب وانتظار. كانت عجلة حمراء تكفي على مدى قرون. ويقال إنه لم يُستخدَم، على مدى التاريخ العبراني كله، سوى ست عجلات فقط. هذا لأن أقل كمية من الرماد كانت تكفي لإضفاء ميزة التطهير على المياه النقية من النبع (عد١٩: ١٧).

٩: ١٤ إن كان لرماد العجلة كل هذه القدرة على التطهير من أحد أخطر أشكال الدنس الخارجي، **فكم بالحري يكون دم المسيح** أكثر فعالية للتطهير من أعمق الخطايا الداخلية.

لقد جاءت تقدمته **بروح أزلي.** ثمة بعض الاختلاف في الرأي حول معنى هذه العبارة. فرأي بعضهم أن الإشارة هنا هي إلى الروح المنتدبة التي على أساسها قُدِّم ذبيحة، وذلك بالمفارقة مع الطابع غير الإرادي للتقدمات الحيوانية، وآخرون يعتبرون أن المقصود هو "بروحه الأزلي". أما نحن، فنؤمن بأن الكلام هنا هو عن الروح القدس؛ لقد قدَّم ذبيحته بقوة الروح القدس.

كانت هذه التقدمة مُقرَّبة لله. وكان هو حمل الله الخالي من أي عيب أو خطية، الأمر الذي أهَّله ليكون حامل خطيتنا وخطايانا. كان على الذبائح الحيوانية أن تكون بلا عيب أدبيًا.

إن دمه يُطهِّر ضمائرنا من أعمال ميتة، لخدمة الله الحي. فالأمر لا يقتصر على التنقية الجسدية أو التطهير الطقسي، لكنه بمثابة التجديد الأدبي الذي يُطهِّر الضمير. إنه يُطهِّر من تلك الأعمال الميتة التي يفعلها غير المؤمنين؛ ويحرِّر الناس من هذه الأعمال الخالية من الحياة لكي يخدموا الله الحي.

٩: ١٥ شدَّدت الأعداد السابقة على تفوق دم العهد الجديد على دماء العهد القديم. وهذا يقود إلى الخلاصة في العدد ١٥ عن أن المسيح هو وسيط العهد الجديد. وقد عرض وست *Wuest* الشرح التالي:

> إن الكلمة "وسيط" هي ترجمة "مَسيتس *Mesites*" وهي تشير إلى شخص يتدخَّل بين فريقين لصنع السلام والصداقة أو إعادتهما، أو لإبرام اتفاق، أو لتثبيت معاهدة. في هذا العدد يعمل المسيح وسيطًا بين الله القدوس والإنسان الخاطئ. فبموته على الصليب، ينزع الخطية، العائق الذي تسبَّب بعداوة بين الإنسان والله. وعندما يقبل الخاطئ استحقاقات ذبيحة المسيح، لا يعود يحمل ذنب خطيَّته وعقابها. كما تنكسر شوكة الخطية في حياته. إنه يحصل على الطبيعة الإلهية، فتنتفي العداوة بينه وبين الله على كلا الصعيدين الشرعي والشخصي.

لقد بات بوسع المدعوين أن ينالوا وعد الميراث الأبدي. فبفضل عمل المسيح، أصبح الخلاص الأبدي والفداء الأبدي من نصيب القديسين في كلا العهدين القديم والجديد.

إن الموت الذي صار، أي موت المسيح، هو الحقيقة التي تجعل مؤمني حقبة ما قبل المسيحية أهلاً للميراث. هذا لأن موته يفديهم من التعديات في ظل الناموس.

لقد خلَّص الله شعب العهد القديم "بشكل دَين" إذا جاز التعبير. لقد تبرَّروا بالإيمان، تمامًا كما نحن. لكن المسيح لم يكن قد مات بعد. إذًا، كيف استطاع الله أن يخلِّصهم؟ الجواب هو أنه خلَّصهم على أساس علمه السابق بما سينجزه المسيح. كانوا يعرفون النزر اليسير عما سيفعله المسيح في الجلجثة. لكن الله كان يعلم كل العلم، وهكذا حسب لهم قيمة ذلك العمل عندما آمنوا بما أعطاهم من إعلان لذاته الإلهية.

كان قد تراكم دين هائل من التعديات في ظل العهد القديم. لكن المسيح، فَدى بموته مؤمني التدبير السابق من تعدياتهم.

فالطريقة التي بها خلَّصهم الله، هي من خلال عمل المسيح في المستقبل، وهي ما يُعرف «بالمصفح عن الخطايا السالفة» والتيترى عرضًا وافيًا لها في رومية ٣: ٢٥، ٢٦.

٩: ١٦ إن حديث الكاتب عن الميراث في عدد ١٥، يذكِّره بأنه قبل تثبيت الوصية الأخيرة، يلزم أولاً بيان موت الموصي. وشهادة الوفاة، عادة هي التي تشكِّل الدليل الوافي.

٩: ١٧ قد يكون الموصي خطَّ وصيته قبل عدة سنوات، وحرص على الاحتفاظ بها في خزنته، لكنها لا تصبح سارية المفعول إلا بعد موته. وما دام هو حيًّا، لا يمكن توزيع ممتلكاته على الذين وردت أسماؤهم في الوصية.

٩: ١٨ يتحول البحث في هذا العدد من وصية الإنسان الأخيرة، إلى العهد القديم الذي أعطاه الله بواسطة موسى، وهنا أيضًا، كان يلزم حصول موت، فتم تكريس هذا العهد بسفك الدم.

ففي الأزمنة الغابرة، لا يصبح العهد ساري المفعول

إلا مــن خلال موت ذبيحة حيوانية، إذ كان الدم بمثابة تعهد بتتميم بنود المعاهدة.

٩: ١٩ موســى، بعد أن كلّم الشعب بالوصايا، **أخذ دم العجــول والتيوس مــع ماء وصوفًا قرمزيًــا وزوفا ورشّ كتاب الشــريعة نفســه وجميع الشــعب.** هذه هي الطريقة التي استخدمها موسى للاحتفال بمراسيم ختم العهد.

ونقرأ في خروج ٢٤: ١-١١ أن موسى **رشّ** المذبح والشــعب، من دون ذكر لــرش **الكتــاب**، أو **للماء**، أو **للصوف القرمزي**، أو **للزوفا**. ويستحســن النظر إلى كلا النصين بصفتهما يكمل أحدهما الآخر.

الله، الممثّل بالمذبح، **والشــعب**، كانا يشــكلان الفريقين المتعاهدين. والكتاب، كان العهد. كما أن الدم المرشــوش كان يُلــزم كل فريق حفظ بنود العهد. لقد وعد الشــعب بالطاعة، **والرب** وعد في المقابل بالبركة في حال أطاعوا.

٩: ٢٠ وإذ كان موســى يرش الدم قــال: «**هذا هو دم العهــد الــذي أوصاكم الله به**». كان هــذا الفعل يرهن حياة الشعب في حال أخفقوا في حفظ الناموس.

٩: ٢١ وبالطريقة نفســها، **رشّ موســى الــدم أيضًا على المســكن وعلى جميع الآنية** المستخدَمة في العبادة. لم يأتِ العهــد القديم على ذكر هذا الطقس. كما أنه لا ذكر للدم في الاحتفال بتكريس المسكن في خروج ٤٠. بيد أن الرمــز واضح فكل ما له اتصال بالإنســان الخاطئ يتنجس ويُصبح في حاجة إلى تطهير.

٩: ٢٢ كل شــيء **تقريبًا يتطهّر حسب الناموس بالدم.** لكن كان هناك اســتثناءات. مثلاً، عندمــا كان رجل ما يرغب في أن يُعَدّ واحدًا من أفراد الشــعب عند الإحصاء، يتوجب عليــه إحضار نصف شــاقل من الفضة، «**فضّــة الكفارة**»، عوضًا عن تقدمــة دموية (خــر ٣٠: ١١-١٦). كان هذا المــال علامة ترمــز إلى التكفير عن نفس هــذا الرجل حتى يُحســب في عداد شــعب الله. كما أنّ لاويين ٥: ١١ أورد اســتثناء آخر لمعالجة بعض أشــكال عدم الطهارة الطقسية بواسطة تقدمة قوامها الدقيق.

كانت هذه الاســتثناءات تُعني **بالتكفير** عن الخطية أو **تغطيتهــا**، مــع أنه، علــى العموم، كانــت التقدمة الدمويــة خاصة بالتكفــير. لكن، بالنســبة إلى **غفران** الخطايا، لا يوجد أي استثناء يحل مكان سفك الدم.

٩: ٢٣ إن مــا تبقــى من أصحــاح ٩ يُشــكّل مقارنة ومفارقة بين كلا العهدين.

أولاً، كان ينبغي للمســكن الأرضي أن **يتطهّر** بواسطة دم الثيران والتيوس. إن هذا العمل، كما أســلفنا، يُشــكّل تطهيرًا طقسيًّا. إنه تقديس رمزي لمسكن رمزي.

كان المســكن الســماوي الحقيقة التي لم تكن الخيمة الأرضية سوى نسخة عنها. وكان ينبغي أن **يُطهّر بذبائح أفضــل من هذه**، أي **بذبائح** المســيح. إن اســتخدام صيغة الجمع لوصــف التقدمة الواحدة التي تمّمها المســيح، هو تعبير مجازي يُعرَف بجمع التعظيم أو الإجلال.

قــد يبدو أمرًا غريبًا أن تكون الأماكن الســماوية في حاجــة إلى **تطهير**. لكنه ربما يســاعدنا في هذا المجال ما ورد في أيوب ١٥: ١٥: «السماوات غير طاهرة في عينيه». هذا، لأن الشــيطان كان قد اقترف أول فعل خطية في السماء (إش١٤: ١٢-١٤)، كما أنه ما يزال باستطاعته الدخول إلى حضرة الله بصفة المشتكي على الإخوة (رؤ١٢: ١٠).

٩: ٢٤ المسيح لم يدخل المسكن الذي صنعه الناس، والذي كان رمزًا أو صورة للمسكن الحقيقي، بل إلى السماء عينها. وهناك يظهر أمام الله لأجلنا.

من الصعب فهم السبب الكامن في ترك الإنسان الحقيقة للرجوع إلى الظل، وفي ترك أحدهم رئيس الكهنة العظيم الذي يخدم في المسكن السماوي في سبيل الرجوع إلى كهنة الشعب القديم الذين يخدمون في خيمة رمزية.

٩: ٢٥ لم يَقُم الرب يسوع بتقدمات متكرِّرة، كما كان على رئيس الكهنة المُقام على رتبة هارون أن يفعل. كان هذا الأخير يدخل إلى الأقداس في يوم واحد من السنة، أي في يوم الكفارة. ولم يكن ليقرِّب دمه هو بالذات، بل بالحري دم حيوانات الذبيحة.

٩: ٢٦ لو أن المسيح قام بتكرار التقدمات، لعني ذلك تألمًا متكررًا، لأن ما قدمه كان حياته بالذات. فمن غير الممكن التفكير في أنه عانى آلام الجلجثة بشكل دوري، منذ تأسيس العالم، لأن هذا لم يكن ضروريًا.

يحتوي العهد الجديد على:

١- **حسم إيجابي: لقد أُظهِر مرة.** لا حاجة إلى تكرار العمل.

٢- **وقت مناسب: لقد أُظهر عند انقضاء الدهور،** أي بعد أن برهن العهد القديم بشكل قاطع، فشل الإنسان وعجزه.

٣- **عمل كامل: لقد أُظهر ليُبطل الخطية.** والتشديد هنا هو على الفعل **يُبطل.** فالأمر لم يَعُد مسألة تكفير سنوي، إذ حصل الآن غفران أبدي.

٤- **ذبيحة شخصية: لقد أبطل الخطية بذبيحة نفسه.** لقد حمل هو نفسه في جسده عقاب خطايانا العادل.

حاملاً العار والازدراء الشنيع
وقف مكاني مُدانًا
فختم أمر مسامحتي بدمه
هللويا! يا له من مخلص عظيم.

فيليب بليس Philip P. Bliss

٩: ٢٧ يبدو أن العددين ٢٧، ٢٨، يعرضان مفارقة أخرى بين العهدين القديم والجديد. فالناموس حكم على الخطاة **بالموت مرة، وبعد ذلك الدينونة.** لقد أُعطي الناموس لشعب كانوا في ذلك الحين خطاة، ولم يكن باستطاعتهم حفظه بشكل كامل. من هنا، بات وسيلة دينونة لجميع الذين كانوا تحته.

٩: ٢٨ العهد الجديد يُدخل ذبيحة **المسيح** اللامتناهية: لقد **قدم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين.** إنه يعرض الرجاء المبارك برجوعه الوشيك: **فهو سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه.** لكن رجوعه لن يتم لمعالجة مشكلة **الخطية،** لأنه أكمل ذلك العمل على الصليب. لكنه سيأتي ليأخذ شعبه إلى موطنهم السماوي. سيكون ذلك بمثابة الذروة بالنسبة إلى **خلاصهم.** وسيحصلون على أجسادهم الممجَّدة، ويكونون إلى الأبد بمنأى من الخطية.

إن التعبير "**الذين ينتظرونه**" يصف المؤمنين الحقيقيين جميعهم. هذا لأن شعب الرب جميعهم ينتظرون رجوعه، بغض النظر عن اختلاف آرائهم حول تعاقب الأحداث المتعلقة بمجيئه الثاني.

لا يعلِّم الكتاب المقدس أن فئة معيَّنة من المسيحيين الروحيين سيؤخذون إلى السماء وقت الاختطاف، بل يصرِّح بأنَّ المُختطَفين هُم فريقان: فريق «الأموات في المسيح» وفريق «الأحياء الباقين»

(١تس٤: ١٦، ١٧)، وهذا يشمل جميع المؤمنين الحقيقيين، من أموات وأحياء. وفي ١كورنثوس ١٥: ٢٣ يعتبر الوحي أنهم «الذين هم للمسيح».

غالبًا ما يُذكر أن ثمة ثلاثة ظهورات للمسيح في الأعداد ٢٤-٢٨. ومن الممكن اختصارها على النحو التالي:

العدد ٢٦: لقد أُظهر (قبلاً). والإشارة هنا هي إلى مجيئه الأول عندما جاء إلى الأرض ليخلصنا من عقاب الخطية (الخلاص بصيغة الماضي).

العدد ٢٤: أنه **يَظهر الآن**. والإشارة هنا هي إلى خدمته الحالية في حضرة الله لتخليصنا من سلطة الخطيّة (الخلاص بصيغة الحاضر).

العدد ٢٨: **سيُظهَر**. وهذا ما يتحدث عن رجوعه الوشيك عندما سيخلّصنا من وجود الخطية (الخلاص بصيغة المستقبل).

١٠: ١ لم يكن الناموس سوى ظل الخيرات العتيدة. كان يشير قُدُمًا إلى شخص المسيح وإلى عمله، لكنه كان بديلاً ضعيفًا للحقيقة. إن تفضيل الناموس على المسيح هو أشبه بتفضيل صورة على الشخص الذي تمثله. وهذا الأمر ينطوي على إهانة لجلالة الأقدس.

يكمن ضعف النظام الناموسي في ضرورة تكرار الذبائح. وهذا التكرار برهن عجزًا تامًا عن تتميم مطالب الله القدوس. لاحظ جيدًا التعبيرات المستخدمة لتأكيد فكرة التكرار هذه: **بنفس الذبائح، كل سنة، التي يقدّمونها على الدوام**.

كانت الذبائح عاجزة تمامًا عن **تكميل** العابدين، أي أنها لم تُعط الشعب قطّ ضميرًا **مكمّلاً** من جهة الخطية. لم ينعم العبرانيون قطّ بوعي كونهم قد بُرّئوا، إلى الأبد، من ذنب الخطية. لم يعرفوا قط راحة الضمير بشكل كامل وواف.

١٠: ٢ لو تمكّنت التقدمات من تخليصهم بشكل كامل ونهائي من الخطية، لتوقفوا عن القيام بالرحلة السنوية المضنية إلى المسكن أو إلى الهيكل. إن هذه العودة بانتظام إلى الذبائح أظهرت مدى عدم فعاليّتها. فهل يصح القول في من يحتاج إلى تناول عقاقير كل ساعة من أجل البقاء على قيد الحياة، إنه قد تعافى تمامًا؟

١٠: ٣ كان النظام اللاوي يُوقظ الضمير كل سنة عوضًا عن تسكينه. وعمليًّا، خلف الطقوس الجميلة التي ترافق يوم الكفارة، كان يكمن التذكير السنوي بأن الخطايا تغطّت فقط ولم تُنزع.

١٠: ٤ إن دم الثيران والتيوس، لم يقدِر، بكل بساطة، **على رفع الخطايا**. كانت هذه الذبائح، كما أسلفنا، تُعالج الأخطاء الطقسية. وكانت تمنح نوعًا من التطهير الطقسي، لكنها فشلت تمامًا من جهة معالجة فساد طبيعة الإنسان أو أعماله الشريرة.

١٠: ٥ بالمفارقة مع ضعف التقدمات اللاويّة، نأتي الآن إلى قوة ذبيحة المسيح الفائقة الوصف. على سبيل التمهيد، يُتاح لنا أن نسمع المخلّص يناجي نفسه عند تجسده. وإذا اقتبس الكاتب من مزمور ٤٠، نلاحظ عدم رضى الله على ذبائح العهد القديم وعلى تقدماته. فالله هو الذي رتّب هذه الذبائح، لكنها لم تكن قصده النهائي، إذ لم تكن تهدف البتة إلى رفع الخطايا، بل كانت تشير بالحري إلى حمل الله الذي سيرفع خطية العالم. هل يُعقل أن يرضى الله ويُسرّ بأنهار من دم الحيوانات أو بكوم من جثثها؟

ثمة سبب آخر لعدم رضى الله، وهو أن الشعب كانوا يظنون أنهم يسرّون الله من طريق ممارسة احتفالاتهم فيما كانت حياتهم الداخلية تعج بالخطية والفساد. كما قام العديد منهم بتقديم الذبائح بشكل دوري من دون أية ندامة أو توبة؛ وظنوا أنه كان من الممكن تسكين غضب الله عليهم بذبائحهم الحيوانية، في حين ينظر ـ تعالى ـ إلى ذبيحة القلب المنكسر. لم يدركوا أن الله غير مَعني بالطقوس أصلاً!

وهكذا فإن الله، في عدم مسرته بالذبائح السابقة، **هيّأ** جسدًا بشريًا لابنه، وهو جزء لا يتجزأ من حياته البشرية وطبيعته. إن الإشارة هنا هي، ولا ريب، إلى التجسد، هذه المعجزات العجيبة التي لا يمكن سبر غورها: الكلمة الأزلي صار جسدًا حتى يموت **إنسانًا** من أجل الناس.

والجدير ذكره أن الجملة **هيأت لي جسدًا**، المقتبسة من وحي المزمور ٤٠: ٦، تتحمل أيضًا معنيين آخرين. نقرأ في هذا المزمور "أذني فتحت". كما أوردت إحدى الترجمات في حاشيتها ما يلي: "أُذنين ثقبت من أجلي". كانت الأذن المفتوحة تعني، في الحقيقة أن المسيح كان مستعدًا دائمًا لتقبل التوجيهات من الله ولإطاعتها فورًا. أما الأذن المثقوبة، فقد تشير إلى العبد العبراني الذي كان سيده يقرّبه إلى قائمة الباب ويثقب أذنه بالمثقب (خر ٢١: ١-٦)؛ وكان في هذا العلامة على أنه يستعبد نفسه طوعًا لسيده إلى الأبد. فالمخلِّص عند تجسده قال ما معناه: «أحب سيدي.. لا أخرج حرًا».

١٠: ٦ يكمل المسيح الاقتباس من مزمور ٤٠، مكررًا فكرة أن الله **لم يُسرّ بمحرقات وذبائح للخطية**. كانت الحيوانات ضحايا غير طوعية، ودمها يعجز عن التطهير. كما أنّها لم تعبّر البتة عن قصد الله النهائي. كانت مجرد رموز وظلال تتطلّع قُدُمًا إلى ذبيحة المسيح، إذ لم يكن يُرجى منها أي نفع.

١٠: ٧ ما سَرّ قلب الله كان استعداد المسيح لعمل **إرادة الله**، مهما كلّف الأمر. لقد برهن طاعته الإرادية بتقديمه نفسه على المذبح. وبينما كان الرب ينطق بهذه الكلمات، ذكر أن العهد القديم، من بدايته إلى نهايته، شهد له بأنه تمّم **مشيئة** الله من كل قلبه.

١٠: ٨ في الأعداد ٨-١٠، يعرض الكاتب المغزى الروحي للمناجاة. إنه يرى فيها نظام الذبائح القديم، وافتتاح مرحلة تقدمة يسوع المسيح الواحدة والكاملة والنهائية.

إنه يكرّر الاقتباس من مزمور ٤٠ بصيغة مكثّفة للتشديد على عدم **مسرة** الله بالذبائح التي **تُقدَّم حسب الناموس**.

١٠: ٩ ثم يرى الكاتب مغزى مهمًا، إذ بعدما أعلن المسيح عدم مسرة الله بالقديم، تقدَّم **للقيام** بما يُسرّ قلب الله.

والنتيجة: إنه **ينزع الأول لكي يثبت الثاني**، أي أنه يلغي نظام القرابين القديم الذي كان لازمًا بحسب الناموس، ويعرض ذبيحة نفسه العظيمة عن الخطية. إن العهد الناموسي ينسحب إلى خلفية المسرح، في حين يتقدّم العهد الجديد إلى الوسط.

١٠: ١٠ بهذه المشيئة الإلهية، التي أطاعها يسوع بالتمام، **نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة**. علق على هذا جورج لاندس *Gorges Landis* بالقول:

> إنه تقديس على صعيد المقام كما هو الحال في كل الرسالة إلى العبرانيين ما عدا ١٢: ١٤، وهو يصح على المؤمنين جميعهم (١كو٦: ١١)،

لا على مجرد قلة من "المسيحيين المتقدمين". لقد تم هذا التقديس بإرادة الله وبذبيحة المسيح. وهكذا تم فصلنا وفرزنا من قِبَل الله، ولله، ومن اجل الله. ويجب الانتباه إلى أنه ثمة فرق بينه وبين عمل روح الله التدريجي في المؤمن بواسطة الكلمة (يو١٧: ١٧-١٩؛ ١تس ٥: ٢٣).

١٠: ١١ يتم الآن مفارقة خدمة **كل** كاهن على رتبة هارون، مع تلك التي للمسيح. كان أولئك يقومون، بمعنى يقفون، **كل يوم** لإنجاز مسؤولياتهم، إذ كان المسكن أو الهيكل يخلوان من أي كرسي. لم يكن أي مجال للراحة ما دام عملهم لم يكمل. كانوا يقدّمون **مرارًا كثيرة تلك الذبائح عينها**. وكان ذلك يشكّل تكرارًا لا نهاية له، لم ينزع الخطية، ولم يُرِح الضمير.

لم يكن باستطاعة هذه **الذبائح** البتة أن تنزع **الخطية**. كتب أ.ب.بروس *A.B.Bruce* "مع كون هارون شخصية هامة في النظام اللاوي، كان في الواقع مُلزَمًا تتميم عمل ديني مستمر، إذ يمارس باستمرار احتفالات لا منفعة حقيقية منها".

١٠: ١٢ قدّم ربنا المبارك **ذبيحة** وحيدة **عن الخطايا** ولا حاجة في ما بعد إلى غيرها!

لا حاجة إلى دم ولا إلى مذبح الآن،
لقد قُرِّبت الذبيحة.
لا حاجة إلى نار، ولا إلى دخان يصعد في العلاء،
فالحمل ذُبح مرة واحدة.
وهكذا أثمن دم قد جرى، من عروق أنبل شخص،
لتنقية النفس من الذنب،
والتطهير من أشنع المعاصي.

هوراشيوس بونار Horatius Bonar

وبعد أن أكمل عمل الفداء، «جلس إلى الأبد عن يمين الله»، تفيد هذه الآية، بحسب اللغة الأصلية، إما "قدّم عن الخطايا ذبيحة واحدة إلى الأبد"، وإما أنه "جلس إلى الأبد". وكلا الاحتمالين صحيح، لكن نميل إلى الاعتقاد أن الأخير هو التفسير السليم، كما يرى داربي *Darby*. إنه جالس من دون انقطاع، لأن مسألة الخطية سُوِّيت إلى الأبد. إنه جالس **عن يمين الله**، في مقام الكرامة، والقدرة، والمحبة.

قد يعترض أحدهم على أنه من غير الممكن أن يبقى جالسًا إلى الأبد، لأنه سيقوم ذات يوم للدينونة. غير أنه لا تناقض في هذا. لقد جلس نهائيًا في ما يختص بما قدّمه عن الخطية، لكنه غير جالس إلى الأبد في ما يتعلق بالدينونة.

١٠: ١٣ إنه ينتظر حتى **توضَع أعداؤه موطئًا لقدميه**، أي إلى يوم ستنحني كل ركبة له، ويعترف كل لسان بأنه رب بمجد الله الآب (في ٢: ١٠،١١). في ذلك اليوم، سوف يُظهر برّه جهارًا في كل الأرض.

١٠: ١٤ إن القيمة الفائقة لقربانه تظهر في كونه بهذا القربان **قد أكمل إلى الأبد** (أو باستمرار) **المقدَّسين**. **والمقدسون** هنا هم الذين تم فصلهم وفرزهم لله من العالم، أي جماعة المؤمنين الحقيقيين جميعهم. لقد تم **تكميلهم** بمعنيين: أولاً، حصلوا على مقام كامل أمام الله؛ إنهم يقفون أمام الآب كما لو أنهم الابن الحبيب. ثانيًا، أصبح لديهم ضمير كامل من جهة ذنب الخطية وعقابها، فهم يعلمون يقينًا أن الثمن قد دُفع، وأن الله لن يطالب بالأجرة مرة ثانية.

١٠: ١٥ **ويشهد الروح القدس** أيضًا لحقيقة كون الخطية ستُعالَج بشكل فعّال مرة وإلى الأبد، في نظام العهد الجديد. وهو **يشهد** لهذا في كتابات العهد القديم.

١٠: ١٦ ففي إرميا ٣١: ٣١، وعد الرب بإبرام عهد جديد مع شعبه الأرضي المختار قديمًا.

١٠: ١٧ ثم يضيف في هذا النص عينه: «**ولن أذكر خطاياهم وتعدياتهم في ما بعد**». يستوقفنا احتواء إرميا ٣١: ٣٤ على هذا الوعد بالغفران الكامل والنهائي للخطايا. لكن على الرغم من كل هذا، وحين بدأ الوعد يتحقق، ظل هناك قوم يميلون إلى الرجوع إلى الذبائح التي لا نهاية لها في الديانة اليهودية.

١٠: ١٨ إن الوعد بالغفران في العهد الجديد، يعني أنه **لا يكون بعد قربان عن الخطية**. وبهذه العبارة: «**لا يكون بعد قربان عن الخطية**»، يختم الكاتب ما ندعوه القسم التعليمي من الرسالة: إنه ينبغي أن تبقى هذه الكلمات ترن في قلوبنا وأذهاننا، في حين يضع أمامنا الآن التزاماتنا العملية.

٣ـ تحذير وتحريضات (١٠: ١٩ـ١٣: ١٧).

أ ـ التحذير من احتقار المسيح (١٠: ١٩ـ٣٩).

١٠: ١٩ كان على الشعب، في زمن العهد القديم، البقاء بعيدًا عن الأقداس ولكن الآن، في المسيح، أصبحنا قريبين **بدم** صليبه. من هنا جاء التشجيع على أن نقترب من الله.

إن هذه المناشدة الآن، تؤكّد حتمية كهنوت جميع المؤمنين، لأننا مدعوون إلى أن يكون لنا **ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع**. كان النظام اليهودي يحظر على عامة الشعب دخول القدس وقدس الأقداس؛ فالكهنة وحدهم كان بوسعهم دخول الحجرة الأولى، فيما كان بلوغ الحجرة الثانية يقتصر على رئيس الكهنة منفردًا. لكن هذا كله تغير الآن؛ وبات الاقتراب من الله مفتوحًا أمام جميع الذين يؤمنون في كل زمان ومكان.

عبر الحجاب، يدعوني الله إلى الدخول
على الطريق الحديث والحي
ليس برجاء متزعزع أتقدم، بل إليّ دعوته بجرأة
وهناك، مع المسيح إلهي، ألتقي الله عند كرسي الرحمة.
القيمة الغالية التي لي أمامه إنما تعود إلى قيمة دمه الكريم.
فأنا أتعبد لله، في المسيح، باكورة الثمار،
وإذ يراه الله يملأ الفرح، يعلن قبولي.

لكاتب مجهول

١٠: ٢٠ إن اقترابنا من الله يتم بواسطة **طريق حديث حي**. إن الصفة «**حديثًا**» قد تعني هنا "المذبوح حديثًا" أو "المصنوع حديثًا". كما يبدو أن الصفة «**حيًّا**» تشير إلى يسوع في القيامة، وبالتالي إلى مخلّص حي. وهذا الطريق قد انفتح **بالحجاب أي جسده**. لنا هنا تعليم واضح بأن الحجاب بين حجرتي المسكن، كان يرمز إلى جسد ربنا. وحتى يتسنى لنا الدخول إلى حضرة الله، كان لزامًا أن ينشق هذا الحجاب، أي أن يُسحَق جسده بالموت. وهذا يذكّرنا بأن اقترابنا إلى الله لا يكون من خلال حياة يسوع الخالية من الخطية، بل من خلال موته البديلي فقط. فجروحات الحمل المُميتة هي فقط جواز دخولنا إلى محضر الله عند الصلاة أو العبادة، فيا ليتنا نتذكر أن هذا الامتياز قد تم شراؤه لنا بثمن هائل.

١٠: ٢١ عند دخولنا إلى محضر الله، لا نملك ثقة عظيمة وحسب، بل عندنا أيضًا **كاهن عظيم على بيت الله**. وعلى الرغم من أننا كهنة (١بط٢: ٩؛ رؤ١: ٦) نبقى نحن أيضًا في حاجة إلى كاهن علينا. إن يسوع هو **رئيس الكهنة العظيم** الذي لنا، كما أن خدمته الحاضرة لأجلنا، تضمن لنا ترحيبًا مستمرًا عند الله.

١٠: ٢٢ لنتقدّم. هذا الامتياز المُقتنى بالدم هو من حق المؤمن. يا للروعة الفائقة الوصف بأن نتقابل، لا مع عظماء هذا الدهر، بل مع الله صاحب السلطان على العالم بأسره. إننا في تجاوبنا مع هذه الدعوة، نُظهر مدى تقديرنا لها.

ثمة وصف رباعي لطريقة تهيئة نفوسنا روحيًا، بغية الاقتراب إلى قاعة العرش.

١- **بقلب صادق.** كان شعب إسرائيل قديمًا يقتربون من الله بأفواههم، ويكرمونه بشفاههم، لكن قلوبهم غالبًا ما ظلت بعيدة عنه (مت١٥: ٨). فعلى اقترابنا، إذًا، أن يتصف بالإخلاص التام.

٢- **في يقين الإيمان.** نحن نتقدم بثقة كاملة بمواعيد الله، وبالاقتناع الراسخ بأن ترحيبًا لطيفًا ينتظرنا في حضرته تعالى.

٣- **مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير.** وهذا لا يمكن أن يحصل إلا من طريق الولادة الجديدة. فعندما نثق بالمسيح، نقدِّر قيمة دمه. إننا، بشكل رمزي، نرش قلوبنا به، وذلك على غرار بني إسرائيل الذين سبق لهم أن رشوا أبوابهم بدم حمل الفصح. هذا العمل ينقذنا من ضمير شرير. إن شهادتنا هي:

لم يعد الضمير يحكم علينا الآن،
لأن دم الرب الثمين جدًا
قد غسلنا مرة وإلى الأبد، وطهّرنا،
وجعلنا أطهارًا في عيني الله.

فرنسس بفان Frances Bevan

٤- **ومغتسلة أجسادنا بدم نقي.** والكلام هنا أيضًا رمزي. **فأجسادنا** تمثل حياتنا. **والماء النقي** قد يشير إلى الكلمة (أف٥: ٢٥،٢٦)، أو إلى الروح القدس (يو٧: ٣٧-٣٩)، أو إلى الروح القدس إذ يستعين بالكلمة لتطهير حياتنا يوميًا مما يعلق بها من نجاسات. فنحن نطهر مرة وإلى الأبد من مُذنبية الخطية بواسطة موت المسيح، لكننا نتطهر باستمرار من نجاسة الخطية بعمل الروح القدس من خلال الكلمة (راجع يوحنا ١٣: ١٠).

إذًا، فالمستلزمات الأربعة للدخول إلى حضرة الله تتلخص في: الصدق، واليقين، والخلاص، والتقديس.

١٠: ٢٣ المناشدة الثانية هي أن نتمسك بإقرار الرجاء. فلا ندع أي أمر يزعزع إقرار رجائنا الوحيد الذي هو في المسيح.

وللذين تجرّبوا بالتخلي عن البركات المستقبلية وغير المنظورة في المسيحية، من أجل الأشياء الحاضرة والمنظورة في اليهودية، جاء التذكير بأن الذي **وعد هو أمين.** ووعوده لا يمكن أن تسقط، ولن يخزى أبدًا كل من يثق به. فالمخلِّص سيأتي كما **وعد**، كما أن شعبه سيكونون معه ومثله إلى الأبد.

١٠: ٢٤ ينبغي لنا أيضًا أن نكتشف طرقًا وأساليب لحثّ أخوتنا المؤمنين على إظهار المحبة والقيام بأعمال صالحة. إن **المحبة**، بمفهوم العهد الجديد، ليست بمثابة شعور، بل عمل إرادي. فنحن مأمورون بأن **نحب**، وهو أمر في متناول أيدينا ويجب أن نقوم به. فالمحبة هي الأصل، أما **الأعمال الصالحة فهي** الثمر، لذا، علينا أن نحرِّض المؤمنين الآخرين بقدوتنا وبتعليمنا، على هذا النوع من الحياة.

القلوب المُحبّة هي حدائق،
والأفكار المحبة هي جذور،
والكلمات المحبة هي زهور،
وثمرها الأعمال الصالحة.

١٠: ٢٥ علينا أن نواظب على **الاجتماع**، ولا نترك شركة الجماعة المحلية، كما يفعل **قوم**. إننا نعتبر هذا مناشدة عامة لجميع المؤمنين في أن يحضروا اجتماعات الكنيسة بكل أمانة، لأننا نجني، ومن دون أي شك، قوة، وتعزية، وغذاء، وفرحًا من العبادة المشتركة والخدمة الجماعية. كذلك، من الممكن النظر إلى هذه المناشدة كتشجيع لنوع خاص للمسيحيين الذين يجتازون في أزمنة اضطهاد، حيث توجد دائمًا تجربة الانفراد عن الجماعة بقصد تحاشي الاعتقال أو العار أو التألم، وهكذا يكون المؤمن تلميذًا في الخفاء.

لكن الآية هي، قبل كل شيء تحذير من الارتداد. إن ترك الاجتماع المحلي هنا، يعني إرادة القفا إلى المسيحية والرجوع إلى اليهودية. وهذا ما كان يفعله بعضهم عند كتابة هذه الرسالة. كانت هناك حاجة إلى أن يعظ أحدهم الآخر، ولا سيما في ضوء اقتراب رجوع المسيح. فعند رجوعه، سيكون المؤمنون المضطهدون والمنبوذون والمحتقرون الآن في جهة المنتصرين عندئذ. وإلى أن يحين ذلك الوقت، ينبغي لنا الثبات والصمود.

١٠: ٢٦ يتناول الكاتب الآن تحذيره الصارم الرابع. إنه، كما في الحالات السابقة، تحذير من الارتداد. وقد وصفه في هذا العدد بأنه **خطية** مقترَفة إراديًا.

وكما أسلفنا، ثمة اختلاف عظيم وتباين بين المسيحيين حول الطبيعة الحقيقية لهذه الخطية. ومدار المشكلة هل تشير إلى:

١- مسيحيين حقيقيين يتركون المسيح في ما بعد، وهكذا يهلكون.

٢- مسيحيين حقيقيين يتراجعون، لكنهم ما يزالون مخلَّصين.

٣- أولئك الذين يعترفون زورًا بأنهم مسيحيون، وينتمون إلى كنيسة محلية، ثم يتركون المسيح عمدًا. فهؤلاء لم يختبروا الولادة الثانية قط ولا يمكنهم اختبارها بعد ذلك.

مهما كانت عليه نظرتنا إلى هذا الأمر، فثمة صعوبات. في اعتقادنا، أن الاحتمال الثالث هو الصحيح، لأنه الأكثر انسجامًا مع تعليم الرسالة إلى العبرانيين بكاملها ومع مجمل مضمون العهد الجديد.

العدد ٢٦، يُعرِّف الارتداد بأنه اقتراف طوعي للخطية **بعد** أخذ **معرفة الحق**. إذًا، لقد سمع الإنسان الإنجيل على غرار يهوذا، وبات يعرف طريق الخلاص، كما ادّعى أنه حصل عليه، لكنه عاد فرفضه تعمُّدًا.

بالنسبة إلى هذا الشخص، **لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطية**. لقد صمَّم على رفض ذبيحة المسيح المقدَّمة مرة وإلى الأبد. من هنا، لم يعد لدى الله أي سبيل آخر للخلاص يعرضه عليه.

إن كل خطية نقترفها هي طواعيّة وإرادية، لكن الكاتب يتحدث هنا عن الارتداد بصفته خطية إرادية لا يستهان بخطرها.

إن استخدام الكاتب، في هذا النص، لضمير المتكلم، لا يعني بالضرورة أنه يشمل نفسه أيضًا، لأنه يستثني صراحة في العدد٣٩، نفسه وإخوته المؤمنين من جماعة الذين يرتدون للهلاك.

١٠: ٢٧ لا يبقى سوى **قبول** (انتظار) **دينونة مخيف**، لا رجاء، بعد ذلك، في النجاة، إذ يستحيل إعادة تجديد المرتد للتوبة (٦: ٦)، لأنه قطع نفسه بمعرفة وقصد عن نعمة الله في المسيح. ومصيره إذ ذاك هو **غيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين**. من العبث المماحكة حول طبيعة النار

المقصودة في هذا العدد: هل هي حرفية. إذ إن الغاية من الكلام هي وصف عقاب صارم ومريع.

لاحظ كيف أن الله يصنف المرتدين من فئة المضادين. وهذا يدل على مقاومة فعلية للمسيح، لا مجرد حياد بسيط.

١٠: ٢٨ يتناول الكاتب الآن مصير من ينقض الناموس في العهد القديم، مشكّلاً منه ستارة المسرح الخلفية للمفارقة بين هذا المصير ومصير المرتد الأكثر هولاً. فالرجل الذي **خالف ناموس موسى**، بصيرورته ثنيًا، كان يقتل **بدون رأفة** عندما يتبرهن ذنبه على فم **شاهدين أو ثلاثة** (تث١٧: ٢-٦).

١٠: ٢٩ أما المرتد فسيُحسب مستحقًا عقابًا أشر، وذلك على قدر ما كان الامتياز الذي تمتع به أعظم. إن فظاعة خطيته تُرى من خلال ثلاثة اتهامات موجّهة إليه:

١- **لقد داس على ابن الله**. فبعد اعترافه ادّعاءً بأنه من أتباع يسوع، يصرّح الآن، بلا خجل، برغبته في قطع أية علاقة به. إنه ينكر حاجته إلى المسيح المخلِّص، كما أنه يرفض جهارًا سيطرة الرب على حياته.

لقد استخدمت السلطات اليابانية، في زمن الاضطهاد، صليبًا، فجعلته أرضًا، وكان يتعين على كل إنسان أن يدوس على وجه المصلوب. لم يتردد غير المسيحيين في الدوس على وجهه، لكنّما رفض ذلك المسيحيون، فقُتلوا. وتقول القصة إن وجه صورة يسوع قد بلي وتشوه بفعل الدوس عليه.

٢- **لقد حسب دم العهد الذي قُدّس به دنسًا**، إنه يحسب دم المسيح الذي رسّخ العهد الجديد، بلا نفع وغير مقدّس. لقد فرزه هذا الدم، جاعلاً إياه في موقع امتياز خارجي. إنه **قُدِّس** من خلال ارتباطه بشعب المسيح، تمامًا كما أن الزوج غير المؤمن **يُقدَّس** من خلال زوجته المؤمنة (١كو٧: ١٤). لكن هذا لا يعني أنه اختبر الخلاص.

٣- **لقد ازدرى بروح النعمة**. كان روح الله قد أعطاه استنارة في ما يتعلّق ببشارة الإنجيل، وبكّته على الخطية، ودله على المسيح بوصفه ملجأ النفس الوحيد. لكنه ازدرى بالروح الذي عامله بنعمة، محتقرًا إياه، ومحتقرًا ما يعرضه من خلاص.

١٠: ٣٠ إن الرفض العمدي لابن الله الحبيب، يشكّل خطية فادحة جدًا. فالله سيجلس ديّانًا لجميع الذين أذنبوا من هذا القبيل.

لقد سبق له أن قال: «**لي الانتقام أنا أجازي**» (راجع تثنية ٣٢: ٣٥). **والنقمة** تعني أن يأخذ العدل مجراه بشكل كامل. فنقمة الله لا تتضمن أية فكرة تتعلق بالحقد أو بأخذ الثأر. إنها تكيل للإنسان ما يستحقه فعلاً. ونستطيع أن نتيقن، بحسب معرفتنا لسجايا الله، أنه سيجازي المرتد بحسب أعماله.

«**وأيضًا الرب يدين شعبه**». الله ينتقم للذين ينتمون إليه حقًا، ويبررهم، لكن الإشارة في العدد ٣٠ هي إلى دينونة الأشرار.

إن المرتدين مذكور عنهم هنا أنهم شعبه. وإذا كان من صعوبة في هذا التصريح، فعلينا الانتباه إلى أنهم شعبه على أساس الخلق، وأيضًا بحسب ما ادّعوه لبعض الوقت. فهو خالقهم مع أنه ليس بفاديهم؛ كما أنهم ادّعوا مرة بأنهم شعبه مع أنهم لم يعرفوه قطّ شخصيًا

١٠: ٣١ إن الدرس الثابت لنا جميعنا هو التالي: لا نكن في عداد أولئك الذين **يقعون في يدي الله** للدينونة، لأنه أمر **مخيف**.

لا نجد في هذا النص من الكتاب المقدس، ما يهدف إلى إزعاج أولئك الذين ينتمون حقًّا إلى المسيح، أو إلى تشويش أذهانهم. لقد كُتب هذا النص بأسلوب حادٍّ ثاقب منطوٍ على تحدٍّ، لإنذار جميع الذين يعترفون باسم المسيح شكليًّا بالعواقب الوخيمة التي تترتب على الذين يرتدون بعيدًا عنه.

١٠: ٣٢ في الأعداد الباقية من الفصل العاشر، يعرض الكتاب ثلاثة أسباب وجيهة عن حاجة المسيحيين العبرانيين الأولين إلى الاستمرار بثبات في ولائهم للمسيح.

١ـ على اختباراتهم **السالفة** أن تكون بمثابة حافز لهم.

٢ـ إن اقتراب أوان المجازاة يجب أن يعزّزهم ويشدّدهم.

٣ـ إن الخوف من عدم إرضاء الله يجب أن يمنعهم من التراجع.

إذًا، يجب أولاً أن تكون اختباراتهم السالفة بمثابة حافز لهم. فبعد اعترافهم بالإيمان بالمسيح، أصبحوا محطّ اضطهاد مرير وعنيف: لقد تنكّر لهم أفراد عائلاتهم، وأصدقاؤهم تخلّوا عنهم، كما أن أعداءهم طاردوهم. لكن هذه **الآلام** شدّدتهم في إيمانهم عوضَ أن تولّد فيهم الجبن والخوف. لقد شعروا، ولاشك، بشيء من الابتهاج «لأنهم حُسبوا مستأهلين أن يُهانوا من أجل اسمه» (أع ٥: ٤١).

١٠: ٣٣ أحيانًا، كانوا يتألمون فرديًّا فيتعرضون جهارًا للتعيير وللضيق، وأحيانًا أخرى، كانوا يعانون الاضطهاد مع مسيحيين آخرين.

١٠: ٣٤ لم يخشوا زيارة الذين كانوا مسجونين من أجل المسيح، على الرغم من الخطر المحدق بهم باعتبارهم زملاءهم.

وعندما قامت السلطات بوضع اليد على **أموال** هؤلاء المسيحيين، **قبلوا ذلك بفرح**، فآثروا البقاء أمناء ليسوع عوضًا عن الاحتفاظ بممتلكاتهم المادية. كانوا يعلمون أن لهم ميراثًا لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل (١بط ١: ٤). إن احتقارهم هذا للغنى الأرضي، كان حقًّا معجزة من عمل النعمة الإلهية.

١٠: ٣٥ وثمة اعتبار آخر، وهو أن اقتراب أوان المجازاة يجب أن يشدّدهم. فبعد أن صبروا واحتملوا بهذا القدر في الماضي، ينبغي لهم عدم الاستسلام الآن.

إن الكاتب يقول ما معناه: "لا تدعوا حصاد دموعكم يفوتكم" (ف.ب ماير *F.B.Meyer*). إنهم الآن أقرب من ذي قبل للحصول على تتميم مواعيد الله؛ وهذا الوقت غير مناسب للتراجع.

"لا تتخلوا عن ثقتكم الآن؛ إنها تحمل معها مجازاة سخيّة في العالم الآتي" (ترجمة فيلبس الإنكليزية).

١٠: ٣٦ كانت حاجتهم إلى **الصبر**، أي العزم على الثبات تحت الاضطهادات عوضًا عن الهرب من خلال إنكار المسيح. ثم بعد أن **يصنعوا مشيئة الله**، **سينالون** المجازاة الموعودة.

١٠: ٣٧ إن المجازاة المقبلة تتزامن مع رجوع الرب يسوع، من الاقتباس من حبقوق ٢: ٣ «**لأنه بعد قليل جدًّا سيأتي الآتي ولا يُبطئ**». نقرأ في نبوة حبقوق الكلمات التالية: «لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد وفي

النهاية تتكلم ولا تكذب. إن توانت فانتظرها لأنها ستأتي إتيانًا ولا تتأخر».

يعلق فنسنت *Vincent* على هذا التغيير بهذه الكلمات:

إن موضوع هذه الجملة، باللغة العبرانية، هو رؤيا إبادة الكلدانيين... لكن بحسب الترجمة السبعينية، فالموضوع يجب أن يكون يهوه أو المسيّا. لقد قام اللاهوتيون اليهود اللاحقون بردّ هذا النص إلى المسيّا. وكاتب الرسالة إلى العبرانيين حذا حذوهم أيضًا.

كما أن أ. ج. بولّوك *A.J.pollock* يقول:

إن النص في العهد القديم والاقتباس المعدّل في العهد الجديد هما متشابهان لجهة كونهما موحى بهما حرفيًا، وكتابيين بشكل متساوٍ. فالضمير المتصل "ها" في حبقوق يشير إلى الرؤيا، ويعني به مجيء المسيح لكي يملك. وهذا الضمير "ها" يصبح "الآتي" في الرسالة إلى العبرانيين حيث يشير إلى الاختطاف

ثم يضيف بشكل عام هذه المرة:

عندما يُقدم كاتب وحي على الاقتباس من العهد القديم، لا يستعين من النص المقتبس بسوى ما يخدم قصد الذهن الإلهي، ومن دون أن يناقضه البتة. وهكذا، غالبًا ما يعدّل فيه كي يوصّل لا المعنى الحقيقي للنص في العهد القديم، بل المعنى الأوفى الذي يقصده الروح القدس في العهد الجديد... لكن لا يحق لأي كان ما خلا الله أن يتعامل مع الكتاب المقدس بهذا الشكل. وكون هذا الأمر يحصل، بل هو حاصل على نطاق واسع، يشكّل برهانًا آخر على الوحي. فالله هو مؤلف الكتاب المقدس، وباستطاعته الاقتباس من كلماته الخاصة، إذ يُعدّل فيها أو يضيف إليها لخدمة قصده. لكن، عندما يقتبس أحدنا من الكتاب المقدس، فعليه أن يتمم ذلك بكل دقة. لا يحقّ لنا أن نغيّر أي حرف أو أية نقطة. لكن الله، مؤلف الكتاب المقدس، يحق له ذلك، ولا يهمّ أي كاتب يُستخدَم لأجل هذا الغرض، سواء كان موسى أم إشعياء، بطرس أم بولس، متى أم يوحنا، لأن الكل هو كتابته تعالى.

١٠: ٣٨ إن الخوف من عدم إرضاء الله هو حافز أخير للصبر بثبات. يتابع الكاتب الاقتباس من حبقوق، لكي يظهر أن حياة **الإيمان** هي المرضية عند الله: **أما البار فبالإيمان يحيا**. هذه هي الحياة التي تقدّر مواعيد الله، وترى ما لا يُرى، وتستمر حتى النهاية.

أما الحياة التي لا تُرضي الله، على النقيض، فهي حياة الإنسان التي ينكر المسيح من أجل العودة إلى ذبائح الهيكل التي طواها الزمن: وإن ارتد أحد **لا تُسَرّ به نفسي**.

١٠: ٣٩ يسرع الكاتب إلى فصل نفسه مع إخوته المؤمنين عن جماعة الذين **يرتدّون للهلاك**. وهذا يفصل بين المرتدين والمسيحيين الحقيقيين. فالمرتدون يتراجعون كليًّا ويهلكون. أما المسيحيون الحقيقيون، **فيؤمنون**، وهكذا يحفظون نفوسهم من مصير أولئك.

ومع هذا الكلام عن الإيمان، مهد الكاتب لبحث أوفى عن الحياة التي ترضي الله. إن أصحاح ١١ الباهر هو نتيجة طبيعة لما سبق.

ب. حثّ على الإيمان بواسطة أمثلة من العهد القديم (أص١١).

١١: ١ يتناول هذا الفصل رؤيا **الإيمان** وثباته. إنه يحدّثنا عن رجال ونساء من العهد القديم كانت رؤاهم الروحية كاملة، كما أنهم ثبتوا تجاه العار والألم عوّض أن ينكروا إيمانهم.

العدد الأول لا يشمل في الواقع تعريفًا رسميًّا بالإيمان؛ لكنه يصف لنا بالحري ما يفعله الإيمان لأجلنا. إنه يجعل ما يُرجى حقيقة بالنسبة إلينا، وكأننا قد حصلنا عليه. كما أنه يمنح يقينًا لا يتزعزع بأن البركات الروحية غير المنظورة في المسيحية هي أكيدة وحقيقية بشكل قاطع. وبكلمة أخرى، إنه يُحضر المستقبل ليصبح ضمن نطاق الحاضر، كما يجعل غير المنظور منظورًا.

الإيمان هو الثقة بإلهنا الجدير بالثقة. إنه الاقتناع بأن ما يقوله الله هو صحيح، وبأن مواعيده ستتم.

ينبغي للإيمان أن يحصل على نوع من الإعلان من لدن الله، أو أن يتأسس على وعد إلهي. ليس الإيمان قفزة في الظلام. إنه يطلب أكثر البراهين يقينية في العالم، ويجدها في كلمة الله. إنه لا يقتصر على ما هو معقول وممكن، لكنه يغزو نطاق المستحيلات. قال أحدهم: "الإيمان يبدأ عندما تنتهي الأمور الممكنة. إن ظلّت ممكنة، فلا يتمجّد الله بها".

الإيمان، الإيمان العظيم يرى الوعد،
وينظر إلى الله وحده،
إنه يهزأ بالمستحيلات،
ويهتف: "الأمر سيتم".

كاتب مجهول

لا تخلو حياة الإيمان من بعض الصعوبات والمعضلات. فالله يمتحن إيماننا ليرى هل هو حقيقي (١بط١: ٧). لكن، كما صرح جورج مولر *George Müller*: "إن الصعوبات تشكّل طعامًا يتغذى عليه الإيمان".

١١: ٢ إن مشاهير العهد القديم هؤلاء، نالوا الرضى الإلهي، لأنهم ساروا بالإيمان لا بالعيان. وما تبقى من هذا الفصل هو بمثابة توضيح للطريقة التي بها **شهد** الله لهم.

١١: ٣ الإيمان يزوّدنا بالخبر اليقين الوحيد عن عملية الخلق. فالله وحده كان حاضرًا هناك، وهو يخبرنا كيف تم ذلك. نحن نؤمن بكلمته وعلى هذا الأساس نعرف. يقول ماككيو *McCue*: "إن مفهوم الله الموجود قبل المادة، والذي بأمره صارت، يتعدّى نطاق المنطق أو الاختبار. إنه يُقبَل في بساطة بفعل إيمان".

بالإيمان نفهم. العالَم يقول: "نرى لكي نؤمن". أما الله، فيقول: "تؤمن لكي ترى". قال يسوع لمرثا: «ألم أقُل لك إن آمنت ترين...» (يو١١: ٤٠). وكتب الرسول يوحنا: «كتبت إليكم أنتم المؤمنين... لكي تعلموا» (١يو٥: ١٣). فبالنسبة إلى المسائل الروحية، الإيمان يأتي قبل الفهم.

العالمين أُتقنت بكلمة الله. الله تكلّم فتكوّنت المادة وهذا يوافق بالتمام اكتشاف الإنسان أن المادة هي في جوهرها طاقة. عندما تكلّم الله، حصل انسياب طاقة بشكل موجات صوتية. ثم تحوّلت هذه إلى مادة. وهكذا تكوّن العالم.

لم يتكون ما يُرى مما هو ظاهر. الطاقة لا تُرى، وهذا أيضًا حال الذرّات والجزئيات والغاز بالنسبة إلى العين المجرّدة. لكنها تصبح مرئية عند اتّحادها.

إن حقيقة الخلق كما هي معروضة في عبرانيين ١١: ٣، لا يمكن التشكيك في صحتها أبدًا. لم يُعرَض قطّ ما هو أفضل، ولن يُعرَض.

١١: ٤ لقد تمّ حذف اسمَي آدم وحواء من لائحة شرف الإيمان. عندما كان على حواء أن تختار بين الله أو الشيطان في قول الحق، اختارت الشيطان. بيد أن هذا لا يُنكر على آدم وحواء خلاصهما في ما بعد بالإيمان، كما تُصوّر لنا الأقمصة من جلد.

هابيل لا بد من أنه حصل على إعلان ما أنّ الإنسان الخاطئ لا يمكنه الاقتراب من الله إلا على أساس الدم المسفوك. وقد يكون قد تعلّم هذا من والديه الذين لم ينعما من جديد بالشركة مع الله إلا بعد أن ألبسهما أقمصة من جلود الحيوانات (تك٣: ٢١). وعلى كل حال، أظهر **إيمانًا**، إذ تقدّم إلى الله على أساس **دم الذبيحة**. بالمقابل، كانت ذبيحة قايين من الخُضر أو الفاكهة؛ أي خالية من الدم. يقدّم لنا هابيل إيضاحًا عن حقيقة الخلاص بالنعمة من خلال الإيمان. أما قايين، فيصوّر لنا محاولة الإنسان التافهة لتخليص نفسه بواسطة الأعمال الصالحة.

أشار جورج كتّنج *George Cutting* إلى أن "الله لم يحسب هابيل بارًّا على أساس أي فضل شخصيّ فيه، بل على أساس فضل الذبيحة التي أحضرها وإيمانه بها". وهذه هي الحال معنا: فنحن لا نتبرر من جرّاء خُلقنا أو أعمالنا الصالحة، بل على أساس فضل ذبيحة المسيح وحدها وقبولنا له.

هابيل قتله قايين، لأن الناموس يكره النعمة. فالإنسان صاحب البر الذاتي، يمقت حقيقة أنه عاجز عن تخليص نفسه وأنه يحتاج إلى الاتكال على محبة الله وعلى رحمته.

لكن شهادة هابيل مستمرة: **وبه**، أي بإيمانه، **يتكلم بَعد**. فالإيمان، إن جاز التعبير، يؤهّل الأوتار الصوتية عند الإنسان لتبقى فاعلة وعاملة لوقت طويل بعد أن يسكن جسده القبر.

١١: ٥ لابد **لأخنوخ**، خلال حياته، من أنه حصل على وعد من الله بالذهاب إلى السماء من دون أن يموت. كان، حتى ذلك الحين، يتوجّب على كل واحد أن يموت عاجلاً أم آجلاً. لم يكن التاريخ قد سجّل أن شخصًا تمّ **نقله** من دون أن يموت. لكن الله وعد، وأخنوخ آمن. كان تصرُّف أخنوخ هذا عملاً منطقيًا، ويدلّ على عقل سليم. فأي أمر هو منطقي أكثر من أن يؤمن المخلوق بخالقه؟

وهذا ما حصل. **سار أخنوخ مع الله** غير المنظور على مدى ثلاث مئة سنة (تك٥: ٢١-٢٤)، ومن ثم سار نحو الأبدية. **وقبل نقله شُهد له بأنه قد أرضى الله.** إن حياة الإيمان تُرضي الله دائمًا؛ لذا يجب أن يكون ـ تبارك اسمه ـ موضوع ثقة.

١١: ٦ بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه. لا يمكن لأية كمية من الأعمال الصالحة أن تعوّض عن النقصان في الإيمان، فبعد كل ما يُقال ويُعمَل، إن الإنسان الذي يرفض أن يؤمن بالله، يدعوه كاذبًا. من لا يصدّق الله فقد جعله كاذبًا (١يو٥: ١٠)، وكيف يرضى الله على قوم يدعونه كاذبًا؟

الإيمان هو الأمر الوحيد الذي يعطي الله مكانته الخاصة به، ويجعل الإنسان يعرف حجمه أيضًا. كتب ماكنتوش *C.H.Mackintosh* في هذا المجال "الإيمان يُمجّد الله بشكل فائق، لأنه يبرهن أن ثقتنا بقدراته تعالى على النظر، هي أقوى من ثقتنا بقدرتنا نحن".

الإيمان لا يؤمن بأن الله موجود وحسب، بل يثق أيضًا بأنه يجازي **الذين يطلبونه**. لا شيء في الله يجعل من المستحيل على الناس أن يؤمنوا، بل الصعوبة تكمن في الإرادة البشرية.

١١: ٧ يتأسس إيمان نوح على تحذير الله بأنه مزمع أن يهلك العالم بواسطة طوفان (تك٦: ١٧). لم يسبق أن اختبر الناس أي طوفان، بل، في الواقع، ثمة ما يدعو إلى الاعتقاد أن السماء لم تكن قد أمطرت حتى ذلك الوقت (تك٢: ٥، ٦). آمن نوح بالله وبنى **فلكًا**، على الرغم من أنه كان، على الأرجح، بعيدًا عن المياه الصالحة للملاحة. كان، ولاشك، محطّ كل دعابة وأضحوكة. لكن إيمان نوح نال مجازاة: **فأهل بيته** خلصوا، كما أنه بحياته وشهادته دان العالم، وأصبح **وارثًا للبر** الذي حسب **الإيمان**.

ربما كان العديد من المسيحيين الأولين من أصل يهودي، والذين وُجّهت إليهم هذه الرسالة، ربما كانوا يشككون في كونهم على حق وهم أقلية. وإذا بنوح يطلع من صفحات العهد القديم ليذكّرهم بأنه في أيامه، ثمانية أشخاص فقط كانوا على حق، أما بقية الناس فهلكوا جميعهم.

١١: ٨ كان **إبراهيم**، على الأرجح، عابد وثن، يعيش في أور الكلدانيين عندما ظهر له الله ودعاه إلى الانتقال من هناك. وهكذا ترك بيته وبلده بطاعة **الإيمان**، غير عالم أين سيبلغ في نهاية المطاف. إنّ أصدقاءه، ولاشك، استهزءوا به بسبب اقتزافه هذه الجهالة لكن موقفه كان:

أنا أمضي غير عالم،
لن أمضي لو علمت،
فأنا أفضّل السير في الظلام مع الله،
على السير وحدي في النور؛
أفضل أن أسير بالإيمان معه تعالى،
على السير وحدي بالعيان.

هيلين كسترلاين Helen Annis Casterline

إن السير بالإيمان غالبًا ما يولّد عند الآخرين انطباعًا بأننا غير حذرين، وطائشون؛ لكن الإنسان الذي يعرف الله، يرضى بأن يُقاد وهو معصوب العينين، من دون أن **يعلم** الطريق أمامه.

١١: ٩ كان الله قد وعد إبراهيم بأرض كنعان. كانت تخصّه حقًا، ومع هذا، فلم يكن يملك فيها إلا قبرًا ميّته. كان راضيًا أن يعيش في **خيام**، رمز الغربة، عوضًا عن مسكن ثابت. ففي ذلك الوقت، عامل أرض كنعان **وكأنها غريبة**.

اصطحبه في تغرّبه كل من أخيه وحفيده. وكان لمثاله التقويّ أثر فيهما أيضًا، مع أنهما كانا **وارثين معه لهذا الموعد عينه** بأن الأرض لهما.

١١: ١٠ لم يكن إبراهيم متمسّكًا بالمقتنيات لأنه كان **ينتظر المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله**. فهو لم يجعل قلبه على الأمور المادية الحاضرة، بل على ما هو أبدي. هذه المدينة هي التي لها **الأساسات** (مع أل التعريف). ففي اعتبار الإيمان، ثمة مدينة واحدة فقط تستحق اسمها، وواحدة فقط لها **أساسات** أكيدة.

الله هو مصمّم هذه المدينة السماوية، كما أنّه **بانيها** أيضًا. إنها المدينة النموذجية، الخالية من الأحياء القذرة، والهواء الملوّث، والماء الملوّث، أو أي صنف من المشاكل التي ابتُليت بها مدننا الكبرى.

١١: ١١ بالإيمان **سارة** أخذت قدرة عجائبية على **إنشاء نسل** بعدما بلغت سن التسعين. يصرّح النص بأنّها كانت قد تجاوزت **وقت السن** لإنجاب الأولاد، لكنها تيقنت من وعد الله لها بطفل، وأنه لا يمكن أن يتراجع عن كلمته. كان إيمانها لا يتزعزع بأنه سيتمم ما **وعد** به.

١١: ١٢ كان إبراهيم قد بلغ نحو سن التاسعة والتسعين عندما وُلد إسحاق. ومن المستحيل بالنسبة إليه أن يصبح أبًا بحسب المنطق البشري، لكن الله وعده بذرّية غفيرة، وهذا ما يجب أن يحصل.

فمن خلال إسحاق، أصبح إبراهيم أبًا لعائلة أرضية **لا تُعَد**، هي الأمّة العبرانية. كما أنه أصبح، من خلال المسيح، أبًا لعائلة روحية **لا تُعَد**، أي المؤمنين الحقيقيين على مدى الأجيال اللاحقة. إن **الرمل الذي على شاطئ البحر** يصوِّر، على الأرجح النسل الأرضي، بينما **نجوم السماء** تشير إلى الشعب السماوي.

١١: ١٣ الآباء **ماتوا جميعًا بالإيمان**، إذ لم يعيشوا ليروا تتميم **المواعيد** الإلهية. فإبراهيم، مثلاً لم ير ذريته الغفيرة؛ والأمة العبرانية لم تأخذ كل الأرض التي وُعدت بها؛ كما أن قديسي العهد القديم لم يعاينوا تتميم الوعد بالمخلِّص. لكن بصرهم الرّاصد قرّب المواعيد، حيث أضحوا يحيّونها بتوقع بهيج.

لقد تحقّقوا أن هذا العالم لم يكن بيتهم الأبدي. كانوا راضين بأن يكونوا فيه **غرباء ونزلاء**، رافضين كل ما يدفعهم إلى الاستكانة وطلب الرفاهية. كانت رغبتهم تكمن في اجتياز هذا العالم من دون أن يعلق عليهم أي شيء من صفاته. لقد جعلوا في قلوبهم أن يبقوا غرباء يقصدون المدينة الأبدية (مز ٨٤: ٥-٧).

١١: ١٤ لقد أظهرت حياتهم أنهم **يطلبون وطنًا**. فالإيمان زرع فيهم حنينًا؛ ما كانت مباهج كنعان لتشبعه. كان لديهم دائمًا ميل إلى أرض أفضل تكون هي بيتهم.

١١: ١٥ في كلام الكاتب عن طلبهم وطنًا، أراد أن يوضح لنا أنه لم يكن يقصد أرض ميلادهم. فلو أراد إبراهيم الرجوع إلى وطنه في ما بين النهرين، لتمكّن من ذلك، لكن هذا المكان لم يعُد يشكّل وطنه.

١١: ١٦ التفسير الصحيح لهذا العدد هو أنهم كانوا يطلبون وطنًا **سماويًا**. وإنه لأمر رائع عندما نتذكّر أن معظم وعود الشعب القديم كانت بركات أرضية؛ لكن كان لديهم أيضًا رجاء سماوي، وهذا الرجاء هو الذي أهّلهم ليعاملوا هذا العالم كبلد غريب.

إن مسرة الله هي في أن يرى روح هذا التغرب في شعبه. كتب داربي *Darby*: "الله لا يستحي بأن يُدعى إلهًا لأولئك الذين قلوبهم وقسمتهم هي في السماء". لقد **أعدَّ لهم مدينة**، وفيها يجدون الراحة، والشبع، والسلام الكامل.

١١: ١٧ نأتي الآن إلى أعظم اختبار لإيمان **إبراهيم**. لقد طلب منه الله تقديم ابنه الوحيد، **إسحاق**، على المذبح. وهكذا، بطاعة خالية من أي تردد، انطلق إبراهيم لكي يقدِّم لله أعز كنز على قلبه. هل نسي ما ينطوي على هذا الطلب من معضلة صعبة؟ كان الله قد وعده بذُرّية لا تُعَدّ. وإسحاق كان **وحيده**. وكان عمر إبراهيم ساعتئذ ١١٧ عامًا وعمر سارة ١٠٨ أعوام!

١١: ١٨ كان الوعد بنسل كثير يجب أن يتم من خلال **إسحاق**. والمعضلة كانت التالية: إذا قتل إبراهيم إسحاق، فكيف سيتحقّق الوعد؟ كان إسحاق، في ذلك الحين، في نحو السابعة عشرة من عمره، وغير متزوّج.

١١: ١٩ كان إبراهيم يعرف ما وعد به الله وبات شغله الشاغل. فاستخلص أنه إذا كان الله يلزمه ذبح ابنه، فإنه **سيقيمه حتى من الأموات** لكي يتمّم الوعد.

لم يكن، حتى ذلك الحين، قد حصل أي تدوين لحادثة قيامة من الأموات. والاختبار البشري غير قادر على تصور حدوثها. إذًا، إبراهيم، أوجد فكرة القيامة هذه. إن إيمانه بوعد الله دفعه إلى الاستخلاص أن الله سيقيم إسحاق.

إنه بالمعنى الرمزي (في مثال)، عاد فاسترجع إسحاق من الأموات. لقد قبل حقيقة وجوب ذبح إسحاق. ونال هذا العمل رضى الله على إبراهيم. لكن، وكما أوضح جرانت *Grant* ببراعة: "جنّب الله قلب إبراهيم ألمًا لم يكن ليجنّبه إيّاه قلبه تعالى". لقد أمّن كبشًا ليأخذ محل إسحاق، وبذلك عاد الابن الوحيد إلى قلب أبيه وبيته.

وقبل أن نترك هذا المثال المميّز في الإيمان، يجب تذكّر أمرين. أولاً، لم يكن في نيّة الله أن يُقدم إبراهيم على ذبح ابنه، فالذبائح البشرية لم تكن البتة من ضمن إرادة الله لشعبه. وكل ما في الأمر أنه امتحن إيمان إبراهيم فوجده حقيقيًا، ثم أبطل طلبه.

ثانيًا، أن إيمان إبراهيم بالوعد بذرية غفيرة، قد تم امتحانه على مدى أكثر من ١٠٠ سنة. كان رئيس الآباء في الخامسة والسبعين، أول ما حصل على الوعد بابن. فانتظر ٢٥ سنة ريثما يولد إسحاق. وعندما مضى إبراهيم بابنه إلى جبل المريا ليقربه لله كان في السابعة عشرة من عمره. ثم تزوج إسحاق في سن ٤٠، وقبل أن وُلد له التوأمان انقضت ٢٠ سنة على زواجه. ثم مات إبراهيم في سن ١٧٥. وفي ذلك الحين كانت ذريته تتكون من ولد واحد (عمره ٧٥)، وحفيدين (في الخامسة عشرة). لكنه طوال حياته هذه، لم يساوره أي ارتياب في وعد الله بسبب عدم الإيمان، بل تقوّى بالإيمان معطيًا مجدًا لله وتيقّن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضًا (رو٤: ٢٠، ٢١).

١١: ٢٠ يصعب علينا إدراك طبيعة إيمان كل من إسحاق ويعقوب ويوسف، كما هو مدّون في الأعداد الثلاثة التالية: **فإسحاق**، مثلاً، ورد اسمه ضمن لائحة شرف أبطال الإيمان، لأنه نطق ببركات مُقبلة على **يعقوب وعيسو**. ما الداعي إلى الدهشة في هذا؟

كان الرب، قبل ولادة الطفلين، قد أعلن لرفقة أن الصبيين سيكونان على رأس أمتين، وأن الأكبر (عيسو) سيخدم الأصغر (يعقوب). كان عيسو هو ابن إسحاق المفضّل وقد درجت العادة أن يحصل الابن الأكبر على أفضل حصة من أبيه. لكن رفقة ويعقوب خدعا إسحاق، إذ كان في ذلك الحين قد ضعف بصره، فدفعاه إلى وهب البركة الفُضلى ليعقوب. وعند كشف المؤامرة، اضطربت نفس إسحاق، لكنه تذكّر كلمة الله: أن على الأكبر أن يخدم الأصغر. وهكذا أدرك أنه، على الرغم من ميله إلى عيسو، يجب أن يثبت حكم الله الذي يسيطر على ضعفه الطبيعي.

١١: ٢١ ثمة العديد من الأمور غير المشرّفة في حياة يعقوب، لكن الوحي شرّفه بجعله بطلاً من أبطال الإيمان. لقد تطوّر خُلقه وتحسن مع تقدّمه في السن، كما كان في حالة مجيدة عند موته. وعندما **بارك ابني يوسف**، أفرايم ومنسى، مدّ يده اليمنى فوق اليسرى على شكل صليب، حتى حصل أفرايم الابن الأصغر، على بركة الابن الأكبر. وهكذا، وعلى الرغم من اعتراضات يوسف، أصرّ يعقوب على ضرورة أن تثبت البركات على هذه الحال، لأن هذا هو الترتيب الذي حدّده الرب. كان بصره الجسدي قد ضعف، بيد أن بصره الروحي كان ثاقبًا. يصوّر الوحي المشهد الأخير في حياة يعقوب وهو يعبد **ساجدًا على رأس عصاه**. ويعلّق ماكنتوش *C.H.Mackintosh*، بأسلوبه المحبب المألوف، على ذلك بقوله:

يختتم يعقوب مهامه بعكس ما كانت عليه المشاهد السابقة في تاريخه الحافل. وهذا يذكّر أحدنا بمساء هادئ بعد يوم عاصف: فالشمس التي حجبتها عن الأبصار غيوم النهار، ها هي الآن في جلالها ولمعانها، تغشّى بأشعتها الذهبية سماء الغروب، منبئة بغدٍ مُشرق. وهذه هي حال شيخنا المسن. الرجل المتعقّب، وصانع الصفقات، والماكر، والمحتال، والمراوغ، وصاحب المخاوف الأنانية الناتجة من فقدان الثقة. نجده هنا وكأن غيوم الطبيعة والأرض الدكناء هذه زالت من الوجود؛ فإذ به يُطلّ الآن بكل هدوء رفعة الإيمان، لإغداق البركات، ووهب الكرامات، بتلك المهارة المقدّسة التي لا تتولد إلا من طريق الشركة مع الله وحدها.

١١: ٢٢ كان إيمان يوسف أيضًا قويًّا عند موته. كان يؤمن بوعد الله بأنه سينقذ بني إسرائيل من مصر. فالإيمان أهّله لتصور أنّ الخروج قد حصل وتمّ. كان متيقنًا من هذا الأمر، حتى إنه علّم أولاده أن ينقلوا معهم عظامه لدفنها في كنعان. "وهكذا"، على حد ما كتب وليم لنكولن *Wiliam Lincoln* "إذ كانت تحيط به عظمة مصر وآلهتها، لم يكن قلبه هناك على الإطلاق، بل مع شعبه في مجدهم وبركتهم المقبلين".

١١: ٢٣ إن إيمان أبوي موسى، لا إيمانه الشخصي، هو البارز في هذا العدد. فعندما نظرا إلى طفلهما، **رأيا الطفل جميلاً،** لكن الأمر كان يفوق حد الجمال **الجسدي.** لقد رأيا أن هذا الولد سيكون له دور تاريخيّ حاسم، وقد ميّزه الله لتتميم مهمة خاصة. إن إيمانهما بأن مقاصد الله ستنجح، منحهما جرأة لتحدي أمر **الملك** ولإخفاء الولد على مدى **ثلاثة أشهر.**

١١: ٢٤ بالإيمان موسى نفسه، استطاع أن يرفض الكثير من أمور النبلاء. فمع أنه ترعرع وشب في رفاهية البلاط المصري متنعمًا بكل ما يصبو إليه الناس، تعلّم حقيقة أن "التخلي عن الأشياء، لا اقتناءها، هو مجلبة للراحة" (ج. جريجوري مانتل *J.Gregory Mantle*).

لقد رفض، في البداية شهرة مصر. كان **ابن ابنة فرعون** بالتبني، مما يضمن له بالتالي مكانة بين صفوة المجتمع، وربما أيضًا كخليفة لفرعون؛ لكنه كان قد وُلد من دم أفضل، كواحد من النسل الأرضي الذي اختاره الله، ولم يكن باستطاعته الانحدار من هذا النُبل إلى الملكية المصرية. وعندما بلغ سن الرشد، اتخذ قراره بعدم إخفاء جنسيته الحقيقية مقابل كسب بضع سنوات من الشهرة الأرضية. وعوضًا عن أن تكون النتيجة احتلال سطر أو سطرين من الكتابة الهيروغليفية على أحد القبور المجهولة، تم تخليد ذكره في كتاب الله الأبدي، وبدلاً من العثور عليه كمومياء مصرية في متحف، اشتهر كأحد رجالات الله.

١١: ٢٥ وثانيًا، نبذ **تمتُّع** مصر. كان اتحاده الوضيع مع **شعب الله** المتألم يعني له أكثر من إشباع رغباته الوقتية. إن امتيازات مشاركته في ما كان يلحق بشعبه الخاص من إجحاف، كانت مصدر سعادة له أكثر من حياة البذخ والخلاعة في بلاط فرعون.

١١: ٢٦ وثالثًا، أدار القفا **لخزائن مصر.** فالإيمان أهّله لرؤية أن كنوز مصر الخيالية باتت غير مُجدية في ضوء الأبدية. وهكذا اختار أن يُكابد صنف العار نفسه الذي سيعاينه المسيح في ما بعد. كان يُقدِّر الولاء لله والمحبة لشعب الله أكثر من كل غنى مصر. وكان يعلم أن هذه الأمور، لا سواها، هي التي ستبقى لها قيمتها بعد دقيقة واحدة من موته.

١١: ٢٧ ثم لم يعبأ **بالملك** المصري أيضًا. فإذ تشجع بالإيمان، خرج من أرض العبودية، غير آبه **لغضب الملك**. كان في ذلك انقطاع واضح عن شؤون هذا العالم السياسية. لم يكن يخاف فرعون، لأنه كان يخشى الله كثيرًا. لقد ركز ناظريه على «المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب، الذي وحده له عدم الموت، ساكنًا في نور لا يُدنى منه، الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه، الذي له الكرامة والقدرة الأبدية. آمين» (١تي ٦: ١٥، ١٦).

١١: ٢٨ وأخيرًا، تخلى عن ديانة مصر. ففي صنعه **الفصح ورشه الدم**، انفصل إلى الأبد عن الوثنية المصرية، متحديًا بذلك النظام الديني المعمول به. فالخلاص، بالنسبة إليه، كان من خلال دم الحمل، لا من خلال مياه النيل. وعلى أثر ذلك، نجا أبكار شعبه، فيما قتل المُهلك **الأبكار** في مصر.

١١: ٢٩ كان **البحر الأحمر**، في بادئ الأمر، أشبه بكارثة بالنسبة إلى اللاجئين العبرانيين. وعندما لحق بهم العدو، حسبوا أنهم وقعوا في الشرك. لكنهم تقدّموا إطاعة لكلمة الله، فانفلقت المياه: «فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشقّ الماء» (خر ١٤: ٢١). وعندما حاول **المصريون** اللحاق بهم، انخلعت عجلات مركبات فثقلت، ثم رجعت المياه إلى مكانها الاعتيادي **ففرقت** جيوش فرعون. وهكذا أصبح البحر الأحمر سبب نجاة لإسرائيل، وهلاك للمصريين.

١١: ٣٠ كانت المدينة المسورة **أريحا** أول هدف عسكري في عملية غزو كنعان. إن المنطق البشري يقول إن لا إمكانية للاستيلاء على حصن منيع كهذا إلاّ بواسطة قوى عظمى، لكن أساليب الإيمان تختلف. فالله يتمم مقاصده بواسطة استراتيجيات تبدو جهالة في نظر الناس. لقد دعا الشعب إلى الطواف حول المدينة **سبعة أيام**. وفي اليوم السابع، كان عليهم أن يدوروا حولها سبع مرات، ثم ينفخ الكهنة بأبواقهم، ويهتف الشعب، فتسقط الأسوار. قد يسخر الخبراء العسكريون بهذا الأسلوب، على اعتبار أنه أضحوكة، لكنه نجح! ليست أسلحة الحرب الروحية دنيويّة، لكنها قادرة بالله على هدم حصون (٢كو ١٠: ٤).

١١: ٣١ لا نعلم متى أصبحت **راحاب الزانية** من عبدة يهوه، لكن من الواضح أن هذا قد تم فعلاً. لقد تخلّت عن ديانة كنعان المغلوطة لكي تمسي دخيلة يهودية. ثم تعرض إيمانها لامتحان صعب عندما جاء الجاسوسان إلى بيتها. هل ستكون وفيّة لبلدها ولأفراد شعبها، أم تكون أمينة للرب؟ لقد صمّمت الوقوف مع الرب، حتى لو عنى ذلك خيانة بلدها. وهكذا نجت مع أفراد عائلتها بسبب ترحيبها بالجاسوسين، فيما هلك جيرانها العصاة.

١١: ٣٢ عند هذا الحد، يطرح الكاتب سؤال العارف: **وماذا أقول أيضًا**؟ لقد عرض لائحة جليلة بأسماء رجال ونساء أظهروا إيمانًا وصبرًا في أزمنة العهد القديم. فكم يلزمه ليضيف إليها حتى يوفي موضوعه حقه؟

لا تعوزه الأمثلة، بل يعوزه الوقت فقط. يلزمه وقت طويل للدخول في التفاصيل، من أجل هذا سيكتفي بعرض بعض الأسماء بالإضافة إلى شيء من انتصارات الإيمان وامتحاناته.

وفي قائمة هذه الأسماء، **جدعون** الذي تم تخفيض عدد جيشه من اثنين وثلاثين ألفًا إلى ثلاث مئة. لقد جرى، في البداية، صرف الخائفين، ثم أولئك الذين عنوا براحتهم

الشخصية. وهكذا استطاع جدعون، بواسطة نواة من التلاميذ الحقيقيين، أن يُلحق بالمديانيين هزيمة كبرى.

ثم باراق الذي، إذ دُعي إلى قيادة الشعب في المعركة ضد الكنعانيين، وافق شريطة أن ترافقه دبورة. وهكذا، على الرغم من الجبن الظاهر في شخصيته، رأى فيه الله ثقة حقيقية، فأدرج اسمه في عداد رجال الإيمان.

شمشون هو الرجل الآخر الذي بان ضعفه بوضوح. لكن الله رأى فيه الإيمان الذي أهّله لقتل شبل بيديه، وصرع ثلاثين فلسطينيًا في أشقلون، وألف فلسطيني بواسطة لحي حمار، ولحمل أبواب غزة، وأخيرًا لهدم هيكل داجون، فقتل من الفلسطينيين في مماته أكثر مما قتل في حياته.

ويفتاح، مع كونه ولدًا غير شرعي، برز كالمنقذ لشعبه من يد العمونيين، وهذا يدل على حقيقة أن الإيمان يؤهّل الإنسان للارتقاء فوق ملابسات ولادته وفوق محيطه، حتى يصبح صانع تاريخ الله.

كما أن إيمان **داود** يتلألأ في أثناء قتاله جليات، وفي تصرفه النبيل من نحو شاول، وفي استيلائه على صهيون، وفي مجموعة لا تحصى من الحوادث الأخرى. وإننا لنجده في مزاميره، يُعبر عن إيمانه في التوبة والتسبيح والنبوة.

وصموئيل كان آخر قاضٍ للشعب، والنبي الأول فيه. لقد كان رجل الله في الأمة حين ضعف الكهنوت روحيًا. وهكذا بات أحد أعظم القادة في تاريخ الشعب القديم.

وأخيرًا، أضاف إلى لائحة أبطال الإيمان طائفة نبيلة من **الأنبياء** كانوا رجالاً بكل معنى الكلمة، يؤثرون الموت على الكذب، ويفضّلون الذهاب إلى السماء بضمير صالح على البقاء في الأرض بضمير شرير.

١١: ٣٣ ينتقل الكاتب الآن من عرض أسماء أبطال الإيمان، إلى الكلام عن أعمالهم الخارقة.

لقد قهروا ممالك. هنا، تتجه أفكارنا إلى يشوع، وإلى القضاة (الذين كانوا حقًا قادة عسكريين)، وإلى داود، وإلى آخرين.

وصنعوا برًا. أن ملوكًا أمثال سليمان، وآسا، ويهوشافاط، ويوآش، وحزقيا، ويوشيا، نتذكرهم من أجل عهودهم التي تميّزت بالبر، وإن كانت غير كاملة.

ونالوا مواعيد. قد يعني هذا القول أن الله أبرم عهودًا مع أولئك كما هي الحال مع إبراهيم، وموسى، وداود، وسليمان، أو أنهم حصلوا على تتميم المواعيد، مختبرين بذلك كلمة الله.

سدّوا أفواه أسود. أول ما يتبادر إلى ذهننا هو دانيآل (دا٦: ٢٢)، ولكن لا ننسى أيضًا شمشون (قض١٤: ٦،٥) وداود (١صم ١٧: ٣٤،٣٥).

١١: ٣٤ أطفأوا قوة النار. لم ينجح الأتون إلى في حرق الرُبُط التي أوثقوا بها الفتيان الثلاثة، وإطلاقهم أحرارًا (دا ٣: ٢٥). فالنار، في هذا المجال، ما هي إلا بركة.

لقد نجوا من حد السيف. فداود نجا من هجمات شاول الخبيثة (١صم١٩: ١٩، ٢٠)، وإيليا نجا من حقد إيزابل القاتل (١مل١٩: ١-٣)، كما أن أليشع نجا من ملك آرام (٢مل٦: ١٥-١٩).

لقد اكتسبوا قوة من ضعف. إن سجلات الإيمان حافلة بذكر أشخاص تميّزوا بالضعف. فإهود مثلاً، كان رجلاً أعسر، إلا أنه قتل ملك موآب (قض٣: ١٢-٢٢) وياعيل التي من صنف «الإناء الأضعف» قتلت سيسرا بواسطة وتد خيمة (قض٤: ٢١)، وجدعون استعان

بجرار خزفية سريعة العطب لهزم المديانيين (قض٧: ٢٠)، وشمشون قتل ألف فلسطيني بواسطة لحي حمار (قض١٥: ١٥). فهذا كله يوضّح حقيقة أن الله اختار ضعفاء هذا العالم ليخزي الأقوياء (١كو١: ٢٧).

صاروا أشداء في الحرب. فالإيمان عزّز الناس بقوة تفوق الطبيعة، وأهّلهم للانتصار على صعوبات لا يمكن تخطيها.

هزموا جيوش غرباء. كثيرًا ما كان جيش الأمة القديمة غير مجهّز كما يجب، ثم إن أعداءهم كانوا يفوقونهم عددًا، لكنهم، وعلى الرغم من هذا كله خرجوا منتصرين ظافرين، لخزي العدو، ولدهشة الآخرين.

١١: ٣٥ أخذت نساء أمواتهن بقيامة. وهذا ما حصل مع أرملة صرفة صيدا (١مل١٧: ٢٢)، ومع المرأة الشونمية (٢مل٤: ٣٤).

لكن، للإيمان وجه آخر أيضًا، فبالإضافة إلى الذين أنجزوا أعمالاً خارقة، كان هناك الذين عانوا آلامًا مبرحة. والله يقدّر هؤلاء، كما يقدّر أولئك.

لقد تعرّض بعضهم لتعذيب وحشي من جرّاء إيمانهم بالرب. وكان إطلاقهم سهلاً لو أنهم تنكّروا ليهوه، لكنهم آثروا الموت والقيامة من جديد إلى المجد على البقاء في هذه الحياة كخونة لله. ففي زمن المكابيين، قتل الطيوخوس ابيفانس *Antiochus Epephanes* أمًّا مع أولادها السبعة، الواحد تلو الآخر، وبعضهم بمرأى بعض. لقد رفضوا الحصول على نجاة لكي **ينالوا قيامة أفضل**، أي ما هو أفضل من مجرد استمرار العيش على الأرض.

علّق موريسون *Morrison* بهذه الكلمات:

هذه أيضًا نتيجة أخرى للإيمان: ليس أنه يجلب نجاة الإنسان، بل أحيانًا عندما تُعرض عليه النجاة يمنحه الإيمان جرأة لرفضها. فالإيمان، تارة يظهر في الرفض، وطورًا في القبول. كما أن البقاء على قيد الحياة قد يرضى عليه الإيمان، وقد يرفضه. لقد عُذّبوا ولم يقبلوا النجاة وكان ذلك علامة وختمًا على أمانتهم. فأحيانًا كثيرة يكون رفضنا القاطع بُرهانًا قويًا على إيماننا.

١١: ٣٦ وآخرون استُهزئ بهم وجُلدوا واعتُقلوا في السجون. لقد قاسى إرميا أشكال العقاب هذه جميعها بسبب أمانته لله (إر٢٠: ١-٦؛ ٣٧: ١٥). ويوسف أيضًا سُجن لأنه آثر التألم على السقوط في الخطية (تك٣٩: ٢٠).

١١: ٣٧ رُجموا لقد ذكّر يسوع الكتبة والفريسيين بأن آباءهم قتلوا زكريا بهذه الطريقة بين المقدس والمذبح (مت٢٣: ٣٥).

نُشروا. يقول التقليد أن منسّى اعتمد هذا الأسلوب لقتل إشعياء.

جُرّبوا. والمقصود هنا هو الضغط الهائل الذي حصل على المؤمنين لحملهم على المساومة، وعلى التراجع، وعلى اقتراف المعاصي، أو الإقدام بأي شكل من الأشكال على التنكر لربهم.

ماتوا قتلاً بالسيف. كان على أورّيا النبي أن يدفع هذا الثمن مقابل إعلانه الأمين لرسالة الله أمام الملك يهوياقيم (إر٢٦: ٢٣). لكن العبارة هنا تشير إلى إبادة جماعية. وهذا ما حصل في زمن المكابيين.

طافوا في جلود غنم وجلود معزى معتازين مكروبين مُذلّين. علّق على هذا مورهد *Moorehed* قائلاً:

كان باستطاعتهم التنعّم بلبس الحرائر والمخمل، والترفّه في قصور الأمراء، لو أنهم أنكروا الله وصدّقوا كذبة العالم. لكن، عوضًا عن هذا، تاهوا في جلود غنم وفي جلود معزى، ولم يكونوا هم أنفسهم معتبرين أفضل من المعزى والغنم. زِد على ذلك أنّهم حُسبوا مثلها أهلاً للذبح، لقد عانوا العوز، والحرمان، والاضطهاد.

١١: ٣٨ لقد عاملهم العالم وكأنهم غير جديرين بالحياة. لكن روح الله أبرز هنا حقيقة أن العكس هو الصحيح: **لم يكن العالم مستحقًّا لهم.**

تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض. لقد خسروا بيوتهم، وانفصلوا عن عائلاتهم، طاردتهم الحيوانات، ولفظهم المجتمع. فعانوا من جرّاء ذلك الحر والبرد، والقنوط والضيق، لكنهم ما كانوا لينكروا ربهم.

١١: ٣٩ لقد شهد الله لإيمان هؤلاء الأبطال من العهد القديم، غير أنهم ماتوا من دون أن يحصلوا على تتميم الموعد، لم يعيشوا ليروا مجيء المسيح الذي طالما انتظروه، وللتمتع بالبركات التي هي نتيجة خدمته.

١١: ٤٠ الله نظر لنا شيئًا أفضل. لقد رتّب ألا يُكملوا بدوننا. فهم لم يتمتعوا قطّ بضمير كامل من جهة غفران الخطايا، كما أنهم لن ينعموا بكامل الأجساد الممجّدة في السماء إلى أن نُخطف جميعًا لملاقاة الرب في الهواء (١تس٤: ١٣-١٨). إن أرواح قديسي العهد القديم هي الآن مُكلمّة في حضرة الرب (عب١٢: ٢٣)، لكن أجسادهم لن تقوم من الأموات إلى حين رجوع الرب لأجل شعبه. عند ذاك سيتمتعون بكمال مجد القيامة.

وبكلمة أخرى، لم يكن لقديسي العهد القديم الامتيازات التي من نصيبنا نحن. تأمّل في انتصاراتهم المثيرة وفي تجاربهم الهائلة، تأمّل في مآثرهم وفي صبرهم. لقد عاشوا في ما قبل الصليب، بينما نعيش نحن في كامل مجد الصليب. فكيف تظهر حياتنا بالمقارنة مع حياتهم؟

هنا التحدي العظيم في عبرانيين ١١.

ج. حثّ على الرجاء في المسيح (أص١٢)

١٢: ١ يجب ألا ننسى أن الرسالة إلى العبرانيين وُجّهت إلى قوم مُضطهَدين ويواجهون مقاومة عنيفة بسبب تخلّيهم عن الديانة اليهودية من أجل المسيح. ثمة خطر أن يعتبروا معاناتهم نتيجة لعدم رضى الرب. والأسوأ من هذا كله، قد يتجربون بالرجوع إلى الهيكل وإلى طقوسه.

إذًا، ينبغي لهم ألاّ يفكّروا أن آلامهم كانت فريدة في نوعها. فالعديد من الشهود المذكورين في أصحاح ١١ عانوا كثيرًا نتيجة ولائهم للرب، إلا أنهم صبروا. وإن كان أولئك الذين حصلوا على قدر أقل من الامتيازات قد صبروا بثبات، فكم بالحري يجدر بنا أن نصبر ونتحمل نحن الذين حصلنا على الأمور الفضلى في المسيحية.

إنهم يحيطون بنا **كسحابة عظيمة من الشهود.** وهذا لا يعني أنهم يشاهدون مجريات الأمور على الأرض، لكنهم يشهدون لنا بالحري من خلال حياتهم التي اتسمت بالإيمان والصبر، جاعلين أمامنا مستوى عاليًا يُحتذى به. هذه الآية تطرح السؤال التالي: "هل يُعقل أن القديسين في السماء يعاينون حياتنا على الأرض أو يعرفون ما يدور هنا؟". إن الشيء الوحيد الذي باستطاعتنا التيقّن أنهم يعرفونه، هو عندما ينال أحد الخطاة الخلاص، "يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين بارًّا لا يحتاجون إلى توبة" (لو١٥: ٧).

لنحاضر بالصبر في الجهاد، أي لنركض بثبات في ميدان السباق. ذلك لأن الحياة المسيحية هي سباق يقتضي انضباطًا ومواظبة، ونحن نحتاج إلى التخلي عن كل ما يعيقنا. فالأثقال هي أشياء ربما لا نرى فيها أية أذية، لكنها تؤخّر التقدم، وقد تشتمل على الممتلكات المادية، والارتباطات العائلية، ومحبة الراحة، والرغبة في الاستقرار، إلخ. إن السباقات الأولمبية لا تنص على أي بند يحظر حمل الطعام والشراب، لكن العدّاء لن يتمكن من الفوز بالسباق بهذا الشكل.

علينا أيضًا طرح **الخطية المحيطة بنا بسهولة**. وقد يعني هذا طرح الخطية في كل أشكالها، وبشكل خاص خطية عدم الإيمان. يجب أن تكون ثقتنا بمواعيد الله كاملة، لأن حياة الإيمان هي الظافرة حتمًا.

كما يجب أن نحترز من الظن أن **الجهاد** هو أمر سهل، وأن طريق الحياة المسيحية مفروشة بالورود. فعلينا أن نكون على استعداد للتقدُّم بمثابرة عبر التجارب والامتحانات.

١٢: ٢ نحتاج طوال مدة السباق، إلى أن نُبقي عيوننا مركّزة على **يسوع**، العدّاء الأول والرئيسي، ولا نجعلها تشرد وراء أي شيء آخر. يُعلِّق أ.ب.بروس *A.B Bruce* على هذا بالقول:

> واحد وحيد يبرز مشعًّا فوق الآخرين جميعهم... إنه الإنسان الذي حقّق، أوّل مرة وبشكل كامل، فكرة الحياة بالإيمان... الذي احتمل بكل بساطة آلام الصليب المُبرحة، مستهينًا بما يرافق ذلك من عار، يُعزّزه إيمان مملوء برجاء الفرح والمجد، الأمر الذي جعله غير آبه للألم الحاضر والعار.

إنه **رئيس** إيماننا، أي أنه جسّد لنا المثال الكامل الوحيد لما هي عليه حياة الإيمان.

كذلك هو **مُكمِّل إيماننا**. فهو لم يبدأ السباق وحسب، لكنه أنهاه بالنصار. والشوط، بالنسبة إليه، امتد من السماء إلى بيت لحم، ومن ثم إلى جثسيماني، فإلى الجلجثة، وأخيرًا خرج من القبر لكي يعود إلى السماء. لم يتردّد قط، ولا تراجع في أي وقت من الأوقات. لقد أبقى عينيه مركزتين على المجد الآتي عندما ينضم جميع المفديين إليه إلى الأبد. هذا الذي مكّنه من عدم التفكير في الخزي، كما أهّله لاحتمال العذاب والموت. والآن، هو جالس **في يمين عرش الله**.

١٢: ٣ تتبدّل الصورة الآن من سباق، إلى معركة ضد الخطية. إنّ قائدنا الباسل هو الرب يسوع، ولم يسبق لأي إنسان أن **احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه**. وكلّما شعرنا بالكلل أو أوشكنا أن **نخور**، يجب أن نفكّر في ما قاساه الرب. إن تجاربنا، إذا ما قيست بآلامه لا تكاد تُذكر.

١٢: ٤ نحن نخوض في **جهاد مستمر ضد الخطية**. إلاّ أننا **لم نقاوم بعد حتى الدم**، أي حتى درجة الموت. لكن هذا ما فعله هو.

١٢: ٥ يعرض الكاتب الآن وجهة النظر المسيحية بشأن الألم. لماذا يواجه المؤمن اضطهادًا، وامتحانات، وتجارب، ومرضًا، وألمًا، وحزنًا وضيقًا؟ هل هذه علامة على غضب الله وعدم رضاه؟ هل تحصل صدفة؟ كيف علينا أن نتعامل معها؟

تُعلّمنا هذه الأعداد أن تلك الأمور هي جزء من عملية تعليم الله لأولاده. فهي لا تصدر من الله إلا أنه يسمح بها، ثم يحوّلها لمجده، ولخيرنا، ولبركة الآخرين.

في حياة المسيحي، لا شيء يأتي صدفة. فالمآسي هي بركات مخفية، وخيبات الأمل هي بتعيين منه تعالى. فالله

يُسخِّر ظروف الحياة الصعبة لتشكيلنا على شبه المسيح.

من هنا جاءت المناشدة إلى المؤمنين العبرانيين الأولين من جهة ضرورة أن يتذكروا أمثال ٣: ١١، ١٢، حيث يخاطبهم الله **كبنين**. إنه يحذرهم من احتقار تأديبه، أو الخور تحت هذا التأديب. فإذا ما ثاروا أو استسلموا، يفقدون الفائدة من معاملاته معهم ولا يتعلمون دروسه.

١٢: ٦ عندما نقرأ اللفظة "**تأديب**" نميل إلى التفكير في عملية ضرب أو جلد. لكن الكلمة هنا تعني تدريب الولد أو تثقيفه. وهي تشمل التعليم، والتهذيب، والتقويم، والتحذير. والقصد من هذه جميعها هو تنمية الفضائل المسيحية ونزع الشر. في هذا النص، ما كان التأديب عقابًا على سوء تصرف، بل تدريبًا من خلال الاضطهاد.

١٢: ٧ نحن نسمح لله بأن يشكِّلنا على صورته عندما نبقى خاضعين **لتأديبه** تعالى. فإذا حاولنا وضع حد لمعاملاته معنا، تطول مدة تعليمه لنا، مستخدماً لأجل ذلك وسائل أكثر فعالية وبالتالي أصعب. ثمة درجات في مدرسة الله، وكل ترقية لا تحصل إلاّ من طريق تعلّمنا الدروس. إذًا، عندما تواجهنا الامتحانات، يجب أن نتحقق أن الله يعاملنا كبنين. ففي كل علاقة أب بابن صحيحة، يقوم الأب بتدريب ابنه لأنه يحبه ويريد له الأفضل. والله يحبنا كثيرًا جدًّا حتى إنه لا يسمح لنا بأن ننمو على أساس طبيعتنا، وعلى هوانا.

١٢: ٨ على الصعيد الروحي، جميع الذين لا يختبرون تأديب الله لهم هم **نغول**، **لا بنون** حقيقيون. وعلى كل حال، لا يُعفي المزارع بتشذيب الأشواك، بل الكروم. وهذا عينه يصحّ أيضًا في الميدان الروحي.

١٢: ٩ لقد اختبرنا، في معظمنا، التأديب من **آباء أجسادنا**. ولم نفسّر ذلك كعلامة على بُغضهم لنا، بل أدركنا أنهم كانوا مهتمين بخيرنا ويعملون لمصلحتنا، وهكذا كنا نهابهم.

كم نحتاج **بالأولى** إلى أن نهاب تأديب **أبي الأرواح فنحيا**. إن الله هو أبٌ (أو مصدر) لكل الكائنات التي هي روح أو فيها روح. والإنسان هو روح ساكن ضمن جسد بشري. فبخضوعنا لله، نتمتع بالحياة بكامل معانيها.

١٢: ١٠ ليس تأديب الآباء الأرضيين كاملاً. وهو لا يدوم إلا لفترة معيّنة، أي خلال فترتي الحداثة والشباب. وإن لم ينجح في حينه، فلن ينجح بعد. لقد فعلوا ذلك **حسب استحسانهم**، أي حسب ما ارتأوا أنه صحيح، وأحيانًا قد يكون ذلك غير صحيح.

لكن تأديب الله هو أبدًا كامل. إن محبته لا متناهية، كما أن حكمته معصومة من الخطإ. إن تأديبه لا يكون متسرِّعًا البتة، بل هو دائمًا لخيرنا ولمنفعتنا، وقصده أن **نشترك في قداسته**. فالتقوى لا يمكن إنتاجها خارج عن نطاق مدرسة الله. وهذا ما يوضحه جويت *Jowett* بالقول:

> ليس القصد من تأديب الله إنزال العقاب بنا، بل إعادة تشكيل شخصياتنا. يؤدبنا «لكي نشترك في قداسته». إن العبارة «لكي نشترك» فيها من الدلالة ما يشير إلى حياة قد تنقّت وتجمّلت. إن تلك النار التي أشعلت لم تكن بغير قصد، ولا امتدّت لتلتهم الأخضر واليابس، لكنها نيران الممحِّص الجالس إلى جانبها مراقبًا وعاملاً بكل عزم وصبر ولطف على إخراج القداسة من اللامبالاة، والثبات من الضعف. فالله يخلق من النار نورًا وينتج ثمار الروح وزهوره. إن محبته تبحث أبدًا عن أشياء مُسرة.

١٢: ١١ كل تأديب يظهر مؤلمًا في حينه. لكنه **يعطي الذين يتدربون به ثمر بر للسلام**. من أجل هذا، غالبًا ما تقع أبصارنا على شهادات من نوع هذه المكتوبة بقلم لسلي وذرهد *Leslie Weatherhead*:

أنا كسائر الناس، أحبّ وأفضّل المرتفعات المشمسة حيث تتوافر الصحة، والسعادة والنجاح. لكني تعلّمت عن الله، وعن الحياة، وعن ذاتي، في ظلمة الخوف والفشل أكثر جدًا مما تعلّمت في نور الشمس. هناك ما يُسمَّى كنوز الظلمة. والظلمة تمضي، شكرًا لله، لكن ما يتعلمه أحدنا في الظلمة هو كنز يمتلكه إلى الأبد. قال الأسقف فنلون *Fenelon* "إن التجارب التي تظنّ أنها تقف بين الله وبينك، تبرهن أنها وسائل اتحاد به تعالى، إن كنت تحتملها بوداعة. وإن تلك الأمور التي ترهقنا وتزعج كبرياءنا، تعمل لخيرنا أكثر من كل ما يثيرنا وينشّطنا".

تأمل الشهادة التالية بقلم سبرجن *C.H. Spurgeon*:

أخشى أن يكون كل ما حصلت عليه من أزمنة الراحة ومن ساعات السعادة زهيدًا للغاية. لكن الخير الذي نلته من أحزاني وآلامي وأشجاني لا عدّ له ولا حصر. كم أنا مدين للمطرقة والسندان، للنار وللمبرد؟ إن الضيق هو أفضل ما في أثاث بيتي.

١٢: ١٢ على المؤمنين ألا يستسلموا تحت أي من ظروف الحياة المعاكسة، فقد يكون لتراجعهم في الإيمان تأثير سلبي في الآخرين، إن **الأيادي المسترخية** يجب تشديدها لتخدم المسيح الحي، **والركب المخلعة** يجب تقويتها للمواظبة على الصلاة.

١٢: ١٣ إن الأرجل المتقلقلة يجب قيادتها في مسالك مستقيمة من التلمذة المسيحية. يكتب وليمز *Willians*:

إن الذين يتبعون الرب بلا تردّد يسهّلون طريق الإيمان أمام الإخوة الضعفاء. أما الذين يترددون، فيضعون معوقات أمام أرجل الآخرين، وينتجون مُعاقين روحيًا.

ويعرض س.هـ.لانج *C.H.Lang* إيضاحًا رائعًا:

مسافر مرهق، تعب من عناء السفر في جو عاصف، فتوقف عن السير منهوك القوى وقد تملّكه شعور بالإحباط. وبكتفين محنيّين، ويدين مترا خيتين، وركبتين مرتعشتين، كان على وشك الاستسلام والوقوع أرضًا. هذا ما قد يحصل للسائح على طريق الله، كما يصوّره كاتبنا.

لكن شخصًا يوحي بالثقة، وعلى ثغره ابتسامة لطيفة، يتقدم إليه ويقول بصوت مفعم أملاً: "تشجع، قم منتصبًا، شدّد أطرافك، وتقوَّ بالنعمة. لقد قطعت شوطًا كبيرًا إلى الآن، فلا تضيّع مجهوداتك السابقة. عند نهاية رحلتك منزل حسن بانتظارك، هاك الطريق المؤدية إليه فسر فيها، أطلب من طبيبنا الإلهي العظيم شفاء لعرجك... إنّ الرب يسوع سار قبلك واجتاز هذه الطريق الصعبة إلى قصر الله، وآخرون وصلوا قبلك منتصرين، كما أن فئة أخرى ما تزال على الطريق، لست وحدك. يكفي أن تتقدم بثبات، وستبلغ أنت أيضًا بدورك الهدف، وتحظى بالجائزة".

طوبى للذي يعرف أن يغيث المعيي بكلمة (إش ٥٠: ٤). طوبى للذي يحتمل كلمة الوعظ (عب١٣: ٢٢). وطوبى أيضًا لمن إيمانه بسيط وقوي حتى إنه لا يعثُر في الرب عندما يكون تأديبه قاسيًا.

١٢: ١٤ على المسيحيين أن يسعوا لتكوين علائق سلمية بالجميع وفي كل الأوقات. لكن هذه المناشدة تصبح ضرورية، على نحو خاص، في زمن الاضطهاد، عندما يترك قوم الإيمان، وتكون الأعصاب مرهقة. في مثل هذه الأحوال، يسهل جدًّا أن يصبّ المرء جام غضبه بدافع الخوف والخيبة على أقرب الناس إليه وأعزهم عنده.

نحتاج أيضًا إلى اتّباع **القداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب.** ما هي **القداسة** المشار إليها هنا؟ للإجابة عن هذا السؤال علينا أن نتذكّر أن العهد الجديد استخدم القداسة بالنسبة إلى المؤمنين بثلاث طرائق مختلفة على الأقل.

أولاً، يصبح المؤمن صاحب مقام مقدّس لحظة اهتدائه فإنه يتم فصله لله من العالم (١كو ١: ٢؛ ٦: ١١). إنه باتحاده بالمسيح يتقدس إلى الأبد. وهذا ما قصده مارتن لوثر *Martin Luther* بقوله: "إن قداستي هي في السماء". فالمسيح هو قداستنا من حيث مقامنا أمام الله.

ثم هناك القداسة العملية (١تس٤: ٣؛ ٥: ٢٣). وهذا ما ينبغي لنا أن نكون عليه يوميًّا. نحتاج إلى أن ننفصل عن كل أشكال الشر. وهذه القداسة يجب أن تكون تدريجية، بمعنى أنه يجب أن ننمو أكثر فأكثر على شبه المسيح كل حين.

أخيرًا، هناك القداسة الكاملة. وهذه تتم عندما يمضي المؤمن إلى السماء. عندئذ يتحرّر من الخطية إلى الأبد ويتخلص من طبيعته الساقطة، وتُمسي حالته متجانسة بالتمام مع مقامه.

والآن، أية قداسة علينا أن **نتبع**؟ طبعًا، القداسة العملية هي المقصودة هنا. فنحن لا نسعى في أثر قداسة المقام لأنها صارت لنا عند ولادتنا الجديدة. كما أننا لا نطلب القداسة الكاملة التي لن تكون من نصيبنا إلا عندما نعاين وجهه الجليل. أما القداسة العملية أو التدريجية، فهي أمر يتعلق بطاعتنا وبتجاوبنا. نحن نحتاج إلى اكتساب هذه القداسة باستمرار. وكوننا نحتاج إلى اتباع القداسة فهذا برهان على أنّنا لن نبلغ ذلك بشكل كامل في هذه الحياة (راجع الملاحظات تحت ٢: ١١ لمزيد من الشروح المفصلة حول مختلف أوجه القداسة).

كتب وست *Wuest* ما يلي:

> هذه المناشدة موجّهة إلى المولودين ثانية من اليهود الذين تركوا الهيكل، وهي تدعوهم إلى العيش في حياة مقدّسة والتمسك، في إصرار، بإيمانهم الجديد. والقصد من هذا هو تشجيع اليهود غير المؤمنين الذين تركوا الهيكل واعتنقوا حق العهد الجديد، على الاستمرار في إيمانهم بالمسيح من حيث كونهُ رئيسَ الكهنة، عِوَض الرجوع إلى ذبائح النظام اللاوي التي تمّ إبطالها. إن هؤلاء اليهود المولودين من جديد، هم الذين حذّرهم الكاتب من أن حياة مسيحية غير ثابتة ستجعل اليهود غير المخلّصين ينفرون من الطريق.

لكن، تبقى أمامنا صعوبة. هل صحيح أننا لا نستطيع أن نرى الرب من دون قداسة عملية؟ نعم هذا يصحّ؛ ولكن هذا لا يعني أننا نعيش في حياة مقدّسة لنكسب حق رؤية الله، فيسوع المسيح وحده هو الذي يخوّلنا حق الدخول إلى السماء. إن مغزى هذه الآية هو أن القداسة العملية هي برهان على الحياة الجديدة في الداخل. إن الإنسان الذي لا ينمو أكثر فأكثر في القداسة، لا يكون مخلّصًا. فعندما يسكن الروح القدس في الإنسان، يُظهر

الروح حضورًا بواسطة حياة مقدسة (منفصلة عن الشر وشبهه). إنها مسألة سبب ونتيجة: فإن كان قد قَبِل المسيح، فلابدّ من أن تجري منه أنهار المياه الحية.

١٢: ١٥ يبدو أن العددين التاليين، يعرضان أربع خطايا مختلفة بعضها عن بعض، ويجب تجنبها. لكن القرينة تدل على أننا أمام تحذير آخر من خطية واحدة هي خطية الارتداد، وأن هذه الخطايا الأربع جميعها تتعلق بها.

أولاً، الارتداد هو الإخفاق في الحصول على **نعمة الله**. فالشخص يظهر كمسيحي، ويتكلم كمسيحي، ويعترف بأنه مسيحي، لكنه لم يولّد ثانية قطّ. لقد اقترب جدًا من المخلّص من دون أن يقبله بتاتًا. إنه قريب جدًا، لكن، في الوقت عينه، بعيد جدًا.

والارتداد هو **أصل مرارة**، فالإنسان ينقم على الرب ويرفض الإيمان المسيحي. إن ارتداده مُعدٍ، فالآخرون **يتنجّسون** بتذمراته وشكوكه وإنكاره للبر وللإيمان.

١٢: ١٦ للارتداد علاقة وثيقة بالنجاسة. فالمعترف ادعاءً بأنه مؤمن بالمسيح هو معرّض للسقوط في أشنع الخطايا الأخلاقية. وعوضًا عن الاعتراف بذنبه، يلوم الرب ويرتد راجعًا. ثمة ارتباط بين الارتداد والخطية الجنسية في ٢بطرس ٢: ١٠، ١٤، ١٨، ويهوذا ٨، ١٦، ١٨.

أخيرًا، الارتداد هو شكل من **الاستباحة** أو اللاتديّن، كما يوضّح لنا **عيسو**، إذ لم يكن عنده أي تقدير فعلي للبكورية؛ لقد تخلّى عنها طوعًا من أجل إشباع مؤقّت لشهوته.

١٢: ١٧ ندم عيسو فيما بعد على خسارته حصة الابن الأكبر المزدوجة، لكن وقت الندم كان قد فات. لأنه لم يكن باستطاعة أبيه أن يعكس البركة أو يقلبها.

وهذه هي حال المرتد. فلا اهتمام حقيقيًا عنده بالقيم الروحية. إنه ينكر المسيح عمدًا لتجنب العار، أو الألم، أو الاستشهاد؛ فلا يمكن تجديده أيضًا للتوبة. قد يندم على عمله، لكنها ليست توبة بحسب التقوى.

١٢: ١٨ على الذين يتجرّبون بالرجوع إلى الناموس، أن يتذكروا أية ظروف مروّعة رافقت إعطاء الناموس، كما يحتاجون إلى أن يستخلصوا دروسًا روحية منها. لقد حصل المشهد في جبل سيناء، إذ كان هذا الجبل الحقيقي **الملموس** يضطرم **بالنار**. وكان يلفه وشاح جعل كل شيء يبدو مبهمًا وغامضًا. كذلك شهد المكان هبوب عاصفة عنيفة.

١٢: ١٩ إضافة إلى هذه الاضطرابات الطبيعية، أتت ظواهر أخرى عنيفة خارقة للطبيعة: **بوق يهتف، وصوت** يدوي بشكل مُريع، الأمر الذي دفع الشعب إلى ترجي وضع حدّ له.

١٢: ٢٠ لقد روّعهم جدًّا المرسوم الإلهي القائل: «**إن مسّت الجبل بهيمة تُرجم أو تُرمى بسهم**». لقد علموا أنه إن كان هذا يعني الموت لحيوان أعجم غير مُدرك للأمور، فكم بالحري سيكون نصيب الذين فهموا هذا التحذير؟

١٢: ٢١ كان المنظر كلّه هكذا مخيفًا ومنفرًا حتى **ارتعد موسى** نفسه. وهذا كله يعلن طبيعة الناموس وخدمته. إنه إظهار لمطالب الله البارة وسخطه على الخطية. لم يكن القصد من الناموس إعطاء معرفة الخلاص، بل الوصول بالإنسان إلى معرفة الخطية. فهو يتكلّم عن مسافة بين الله والإنسان من جرّاء الخطية. إنها حقًا خدمة دينونة وظلام وقتام.

١٢: ٢٢ لم يأتِ المؤمنون إلى هول جبل سيناء مع ما يشتمل عليهم من محظورات، بل إلى ترحيب النعمة:

مضى زمن الجبل المضطرم بالنار والقتام الذي يكتنفه،
ومضت معه مخاوفنا وذبلنا،
والآن تنعم ضمائرنا بسلام لا يخيب أبدًا،
إذ إن الحمل على العرش في الأعالي.

جيمس ج. دك James G. Deck

لقد بات باستطاعة كل وُلد من أولاد الله، مقتنى بالدم، أن يقول:

إن الخوف من الله ومن الناموس،
صرتُ بمنأى عنهما.
فإطاعة مخلصي ودمه،
يحجبان معاصيّ كلها عن النظر.

أ.م.تبلادي A.M.Toplady

"لقد بلغنا، حقًا، المكان الذي سنكون فيه إلى الأبد. فالمستقبل هو الحاضر بالنسبة إلينا الآن. ففي يومنا، نحن نملك الغد. وإذ نحن بعد على الأرض نرى السماء ملكنا" *(شذرة مختارة)*

لسنا نأتي إلى جبل ملموس على الأرض. فلدينا امتياز دخول المقدس في السماء. وبالإيمان نقترب من الله بالاعتراف والتسبيح والصلاة. ولنحن غير محصورين بيوم واحد في السنة فقط، بل باستطاعتنا دخول الأقداس في أي وقت، ولنا ملء اليقين كل حين بأنه يرحّب بنا. لم يعد الله يقول: "الزم حدّك وابق بعيدًا"، لكنه يقول: "تقدم بثقة".

للناموس جبله، جبل سيناء، لكن الإيمان له **جبل صهيون**. وهذا الجبل السماوي يرمز إلى مجموع بركات النعمة، أي كل الأشياء التي أصبحت لنا من جرّاء فداء المسيح يسوع.

الناموس، له أورشليم الأرضية أما الإيمان فله عاصمته السماوية التي من فوق. **فمدينة الله الحي** هي في السماء، إنها المدينة التي لها الأساسات، والتي صانعها وبارئها الله.

وإذ ندخل إلى حضرة الله، نجد نفوسنا محاطين بحشد جليل. أولاً، هناك ربوات من **الملائكة** الذين مع كونهم لم يتدنّسوا بالخطية، يعجزون عن الانضمام إلينا للترنيم معنا، لأنهم لم يختبروا الفرح الناتج من الخلاص.

١٢: ٢٣ ثم نحن مع كنيسة الأبكار المكتوبين في السماوات. هؤلاء هم أعضاء الكنيسة، جسد المسيح وعروسه. إنهم الذين ماتوا منذ يوم الخمسين، وهم يتمتعون الآن بحضور الرب في حالة وعي. إنهم ينتظرون اليوم الذي فيه تقوم أجسادهم من القبر بشكلها الممجّد لكي تعود فتنضم إلى أرواحهم.

وبالإيمان نرى **الله** ديّان الجميع. لم يعُد الظلام والقتام يحجبانه، لكن مجده الجليل يظهر لبصيرة الإيمان. وقديسوا العهد القديم هم أيضًا هناك، إنهم **أرواح الأبرار المكمّلين**. وإذ قد تبرّروا بالإيمان، يقفون هناك بنقاوة تامة، على أساس عمل المسيح الذي حُسب لهم. وهم بدورهم ينتظرون أيضًا الوقت الذي يسلّم فيه القبر ودائعه القديمة لكي يحصلوا على الأجساد الممجّدة.

١٢: ٢٤ ويسوع وسيط العهد الجديد، هو أيضًا هناك. ثمة فارق كبير بين موسى، وسيط العهد القديم، ويسوع، وسيط العهد الجديد. فموسى قام بدور الوسيط إذ حصل من الله على الناموس لكي يسلمه إلى الشعب القديم. كان هو الوسيط، أو ممثّل الشعب لتقديم الذبائح التي تم على أساسها تثبيت العهد.

أما المسيح، فهو **وسيط العهد الجديد** بكل ما في معنى الكلمة من سموّ. فقبل أن يتمكّن الله من إبرام

هذا العهد على أساس عادل وبار، كان على الرب يسوع أن يموت. كان في حاجة إلى ختم العهد بدم نفسه، وبذل نفسه فديةً عن كثيرين (١تي٢: ٦).

فبموته أمّن لشعبه بركات العهد الجديد. وهو يضمنها لهم بفضل حياته التي لا تزول. كذلك، بفضل خدمته الدائمة لأجلهم وهو عن يمين الله يحفظهم لينعموا بهذه البركات في وسط عالم معاد.

إن يسوع حاملاً آثار جراح الجلجثة، هو ممجّد الآن عن يمين الله، ربًّا ومخلّصًا.

نحب أن ننظر إلى فوق لكي نراه هناك،
الحمل المذبوح من أجل مختاريه؛
وقريبًا يشرك قديسوه في أمجاده،
إذ يملكون معه، هو رأسهم وربّهم.

جيمس دك James G.Deck

أخيرًا، هناك **دم رش يتكلّم أفضل من هابيل**. فالمسيح بصعوده، قدّم لله كامل قيمة الدم الذي سفكه على الصليب. لا إشارة في الكتاب المقدس إلى أنه حمل دمه بشكل حرفي إلى السماء، لكن استحقاقات دمه باتت معروفة في المقدس.

قال دك *James Deck* في هذا المجال أيضًا:

إن دمه الثمين مرشوش هناك،
أمام العرش وعليه،
كما أن جراحه في السماء تذيع
أن عمل الخلاص قد أُكمل.

يفارق الكاتب بين دم يسوع الثمين ودم **هابيل**. وسواء فهمنا أن المقصود هنا هو دم ذبيحة هابيل، أم هو دم هابيل نفسه الذي سفكه قايين، يبقى القول صحيحًا إن دم المسيح يتكلّم أفضل منه. لقد قال دم ذبيحة هابيل: "مغطًّى مؤقتًا". أما دم المسيح، فيقول: "مغفور الخطايا إلى الأبد". وقد صرخ دم هابيل نفسه: "النقمة"، أما دم يسوع، فيقول: "الرحمة، والغفران، والسلام".

١٢: ٢٥ إن الأعداد الختامية من أصحاح ١٢ تفارق بين إعلان الله في سيناء وإعلانه من خلال المسيح. يجب عدم الاستخفاف بامتيازات الإيمان المسيحي وأمجاده التي لا تُضاهى. فالله هو الذي يتكلّم، ويدعو، ويصب الويلات. **والاستعفاء** منه يعني الهلاك.

إن الذين عصوا صوت الله كما سُمع في الناموس، نالوا عقابًا على قدر عصيانهم. وكلما ازداد الامتياز ازدادت المسؤولية أيضًا. أما في المسيح فقد أعطى الله الإعلان الأفضل والنهائي: إن الذين يرفضون صوته كما هو الآن **يتكلّم من السماء**، في الإنجيل، تترتب عليهم مسؤولية أعظم من أولئك الذين كسروا الناموس. والنجاة مستحيلة.

١٢: ٢٦ في سيناء، تسبّب صوت الله بزلزلة في الأرض. لكن عندما يتكلم في المستقبل، سيحدث صوت زلزلة في السماء أيضًا. والجدير ذكره أن هذا هو جوهر ما تنبأ به حجي (٢: ٦): «هي مرة بعد قليل فأزلزل السماوات والأرض والبحر واليابسة».

هذه الزلزلة ستحصل خلال الفترة الممتدّة بين الاختطاف وانتهاء ملكوت المسيح. وقبل مجيء المسيح ليملك، ستشهد الطبيعة تغييرات عنيفة في كل من الأرض والسماوات، فالكواكب تخرج عن مدارها مسبّبة بذلك اضطرابًا شديدًا في المد والجزر وصخبًا في البحر. ثم عند انقضاء مُلك المسيح الألفي، تخرب الأرض وسماوات النجوم مع سماوات الغلاف الجوي بفعل الحرارة الشديدة (٢بط٣: ١٠-١٢).

١٢: ٢٧ إن الله بقوله، «**مرة أخرى**»، كان يستبق وقوع تغيير كامل ونهائي للسماوات والأرض، فهذا الحدث سيُبطل الأسطورة التي تدّعي أن ما نراه ونلمسه هو الحقيقي، وأما ما لا يُرى فهو غير حقيقي. وبعد أن يكمل الرب عملية الغربلة هذه، لن يبقى إلا ما هو حقيقي.

١٢: ٢٨ إن الذين انشغلوا بالطقوس الدينية اليهودية، كانوا، في الواقع، معلّقين بأشياء عُرضة للتزعزع. أمّا المؤمنون الحقيقيّون، فعندهم **ملكوت لا يتزعزع**. هذا من شأنه أن يولّد في داخلنا أسمى مشاعر العبادة. علينا، بلا انقطاع، أن نشكره **بخشوع وتقوى**.

١٢: ٢٩ الله نار آكلة بالنسبة إلى جميع الذين يرفضون الإصغاء إليه. لكن قداسته وبره عظيمان جدًّا بحيث ينبغي أن يولّدا حتى عند خاصته المقرّبين أعمق مشاعر الإجلال والتقدير.

د. *حثّ على فضائل مسيحية شتّى* (١٣: ١-١٧).

١٣: ١ يتابع الكاتب الجزء العملي من الرسالة إلى العبرانيين، بعرض ست توصيات بشأن الفضائل التي يجب اكتسابها. وتأتي في المقدمة **محبة** الإخوة، إذ ينبغي الإحساس بالعلاقة العائلية من نحو المسيحيين الحقيقيين جميعهم، والإقرار بصلة القرابة هذه بكلمات وأفعال تدل على محبة (١يو٣: ١٨).

١٣: ٢ يحثّ الكاتب على إضافة **الغرباء**. وهذا إنما يشير بشكل رئيسي، إلى المؤمنين الفارين من الاضطهاد والمحتاجين إلى الطعام وإلى المأوى. لأن عملية استضافتهم كانت تعرّض أصحاب البيت للخطر. وقد نفهم العدد أيضًا كتشجيع عام على إظهار حُسن الضيافة لكل من يحتاج إليها من المؤمنين.

إن ما يثيرنا في هذا العمل هو أننا قد نضيف **ملائكة** من دون أن ندري. وهذا، بالطبع، يعود بنا إلى اختبار إبراهيم مع الرجال الثلاثة الذين كانوا في الواقع كائنات ملائكية (تك١٨: ١-١٥). وإذا لم يتسنّ لنا إضافة ملائكة في بيوتنا، فقد نستضيف رجالاً ونساءً يشكّل حضورهم بركة لنا، ويكون لتأثيرهم التقويّ في عائلاتنا نتائج تمتد حتى إلى الأبدية.

١٣: ٣ المناشدة التالية تعني بالاهتمام بالمؤمنين السجناء، وهذا يعني بالإجمال، أولئك الذين أسروا بسبب شهادتهم للمسيح. لقد كانوا في حاجة إلى طعام، وإلى ثياب تقيهم البرد، وإلى مواد للقراءة، وإلى تشجيع. أما المؤمنون الآخرون، فقد كانت تجربتهم تجنّب الالتصاق بإخوتهم المقيدين، خوفًا من أن يَلقوا المصير نفسه. فجاء الكاتب **يذكّرهم** بأنهم، بزيارتهم المقيدين، إنما هم يزورون المسيح.

من الأمور التي يجب إظهارها أيضًا هي الشفقة **للمذلّين**، وهي تشير، ولاشك، إلى المسيحيين المضطهَدين. فعلى القرّاء ألاّ يخافوا على نفوسهم من الخطر الناجم عن هذه الشفقة. وبالنسبة إلينا، فإننا نستطيع توسيع دائرة تطبيق هذه الآية لكي تشمل أيضًا التعاطف مع القديسين المتألمين. ولا يَغبْ عن ذهننا أننا نحن أيضًا في الجسد، وبالتالي عُرضة لمكابدة أحزان مماثلة.

---

* ويُعتقد أن أحدهم كان "ملاك الرب"، وهو المسيح ظاهرًا قبل تجسده.

١٣: ٤ الزواج يجب أن يكون **مُكرَّمًا** عند الجميع. علينا أن نتذكّر أنّه تمّ بترتيب إلهي، قبل دخول الخطية إلى العالم، وأنه إرادة الله المقدّسة للبشرية. فمعاملته كأنه غير طاهر، على غرار المتقشّفين؛ أو حتى الحديث عنه بالمزاحة وبالألفاظ الهزلية، كما يفعل المسيحيون أحيانًا، كلاهما مرفوضان في الكتاب المقدس.

على المتزوجون أن يستمروا أوفياء لتعهداتهم حتى يحافظوا على **المضجع** الزوجي **غير نجس**. وعلى الرغم من إباحية الإنسان المعاصر بشكل سافر في هذا المجال، يبقى أن كل علاقة جنسية خارج إطار الزواج، هي خطية. فالزنى ليس مرضًا، لكنه خطية. إنه خطية **سيدين الله** مرتكبها لا محالة. لن ينجو من هذه الدينونة أي شكل من النجاسة. إن الله يدين مرتكبي هذه الخطية في هذه الحياة، من خلال الأوجاع الجسدية، والعائلات المفككة، والاضطرابات العقلية والعصبية، والعاهات النفسية. كما أنه سيدينهم عليها بنار أبدية ما لم تكن قد غُفرت لهم بدم المسيح.

ذكر أسقف الإصلاح لاتمر *Latimer* الملك الفاسق هنري الثامن بهذا الأمر بشكل فيه من الإقناع بقدر ما فيه من الشجاعة والجرأة. لقد قدّم للملك كتابًا مقدسًا ملفوفًا بغلاف ظريف، وعلى الغلاف كتب العبارة: «وأما العاهارون والزناة فسيدينهم الله».

١٣: ٥ الفضيلة السادسة التي يجب اكتسابها هي القناعة. لا تنس أن دُعاة اليهودية كانوا يرددون باستمرار: "لدينا المسكن، لدينا الكهنوت، لدينا التقدمات، لدينا الطقوس الدينية الجميلة. وأما أنتم، فماذا لديكم؟" هنا يخاطب الكاتب المسيحيين بالقول:

لتكن سيرتكم خالية من محبة المال. كونوا مكتفين بما عندكم. وأنا أقول إزاء هذا: آمين. فما يملكه المسيحي هو أعظم، بما لا يقاس، من أفضل ما في اليهودية. ولماذا **لا يكتفي** بما عنده؟ عنده المسيح، وهذا يكفي.

قد تُشكِّل محبة المال عائقًا عظيمًا بالنسبة إلى المؤمن، فكما أن قطعة نقود صغيرة إذا وُضعت مقابل العين تفصلها عن الشمس، هكذا أيضًا **محبة المال** تقطع الشركة مع الله، وتعيق التقدم الروحي.

إن أعظم غنى في حوزة أي شخص، يكمن في امتلاك الرب الذي وعد بالقول: «لا أهملك ولا أتركك». في اللغة اليونانية، يتمّ توكيد النفي بشكل حازم، بواسطة استخدام لفظتين سلبيتين أو أكثر في الجملة الواحدة. إن الصيغة الأصلية لهذا العدد تتضمن تأكيدًا شديدًا، إذ تجمّع **خمس** سلبيات بقصد إظهار أنه لضربٌ من المستحيل أن يُقدم المسيح على التخلي عن خاصته. ولعلّ العبارة التالية تعبّر عن قوة اللغة الأصلية: "**إني لا أهملنّك ولا أتركنّك البتّة!**"

١٣: ٦ إن كلمات المزمور ١١٨: ٦ هي ما يتغنّى به من له المسيح: «**الرب معين لي فلا أخاف ماذا يصنع بي إنسان**». ففي المسيح ضمانة كاملة، وحماية كاملة، وسلام كامل.

١٣: ٧ القراء مدعوون إلى أن **يتذكّروا مرشديهم**، أي المعلّمين المسيحيين الذين كلّموهم بكلمة الله. كيف كانت عليه نهاية سيرتهم؟ لم يعودوا إلى النظام اللاوي، بل تمسّكون بالإقرار بثبات حتى النهاية. وقد يكون منهم من استُشهد في سبيل المسيح. **وإيمانهم** هو الذي يُقتدى به، إنه الإيمان الذي يتمسك بالمسيح وبالعقيدة المسيحية، ويجعل مكانًا لله في كل نواحي الحياة. لسنا مدعوين جميعنا إلى الأنواع عينها من الخدمة، لكننا جميعنا مدعوون إلى أن نعيش حياة الإيمان.

١٣: ٨ لا تتّضح علاقة هذه الآية بالآية التي سبقتها. ولعل أبسط طريقة لفهمها هي في اعتبارها بمثابة ملخّص لتعليم هؤلاء المرشدين وهدفهم وإيمانهم. كان جوهر تعليمهم هو: **يسوع المسيح هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد**. وهدف حياتهم كان **يسوع المسيح**، الذي **هو هو أمسًا واليوم إلى الأبد**. كما أن أساس إيمانهم كان أن يسوع هو المسيح (المسيّا)، وهو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد.

١٣: ٩ يلي ذلك تحذير من التعاليم الناموسية المغلوطة. كان المهوّدون يصرّون على أن للقداسة ارتباطًا بالأمور الخارجية، من نوع العبادة الطقسية، والأطعمة الطاهرة مثلاً. لكن الحقيقة أن القداسة هي من نتاج **النعمة**، لا الناموس، والتشريعات المختصّة بالأطعمة الطاهرة وغير الطاهرة، كانت تهدف إلى إحداث طهارة طقسيّة؛ لكن هذا يختلف عن القداسة الداخلية لأن الإنسان قد يكون طاهرًا طقسيًا، وفي الوقت عينه مملوءًا حقدًا ورياءً. إذًا، نعمة الله وحدها تستطيع أن تلهم المؤمنين وتعززهم بالقوة ليعيشوا حياة مقدسة. إن المحبة للمخلّص الذي مات من أجل خطايانا، هي التي تدفعنا إلى أن «نعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر» (تي ٢: ١٢). وعلى كل حال، فإن عددًا لا حصر له من القوانين بالأطعمة وبالأشربة، لم تنفع الذين تعاطوها.

١٣: ١٠ لا تَغِبْ عن بالنا نبرة الانتصار في العبارة: «**لنا مذبح**». إنها تشكّل الردّ الواثق للمؤمن على تهكمات المهوّدين. **فمذبحنا** هو المسيح، وهو يشتمل بالتالي على كل البركات المتضمّنة في شخصه المبارك. إن الذين لديهم ارتباط بالنظام اللاوي، لا **سلطان** لهم أن يشتركوا في ما في المسيحية من أمور فضلى. عليهم أولاً أن يتوبوا عن خطاياهم، ويؤمنوا بيسوع المسيح من حيث هو الرب والمخلّص الوحيد.

١٣: ١١ بحسب نظام الذبائح، كانت بعض **الحيوانات** تُذبح، ثم يُدخل بدمها إلى الأقداس بيد رئيس **الكهنة** كذبيحة **عن الخطية**. وكنت أجسام هذه **الحيوانات** تُؤخذ إلى مكان بعيد عن محيط المسكن (أو الخيمة) لأجل إحراقها خارج المحلة أي خارج السياج المحيط بدار المسكن.

١٣: ١٢ كانت الحيوانات التي تُحرَق خارج المحلة بمثابة رمز؛ على أن الرب يسوع هو المرموز إليه هنا. لقد صُلب خارج أسوار مدينة أورشليم. وهناك، خارج محلة الديانة اليهودية المنظّمة، قدّس **الشعب بدم نفسه**.

١٣: ١٣ كان على قراء هذه الرسالة في بداية الكنيسة الأولى أن يقاطعوا اليهودية بشكل واضح وصريح، فيديروا ظهورهم، مرة وإلى الأبد، للذبائح الهيكل، متخذين لأنفسهم عمل المسيح الكامل بوصفه ذبيحتهم الكافية.

ولنا نحن أيضًا تطبيق مماثل: **فالمحلّة** اليوم هي مجمل النظام الديني الذي يعلّم الخلاص بالأعمال، أو على أساس الخُلُق، أو بالطقوس، أو بالفرائض. إنه نظام الكنيسة العصري بكهنوته المُقام بشريًا، وبما فيه من مساعدات مادية على العبادة، ومن زخارف شعائرية. إنه العالم المسيحي الفاسد (النصرانية)، كنيسة من دون المسيح. فالرب يسوع هو في الخارج وعلينا أن **نخرج إليه**... **حاملين عاره**.

١٣: ١٤ كانت أورشليم عزيزة جدًا على قلوب الذين يخدمون في الهيكل. وكانت المركز الجغرافي "لمحلتهم". ليس للمسيحي مدينة كهذه على الأرض. لقد جعل قلبه على المدينة السماوية حيث الحمل هو المجد كله.

١٣: ١٥ في العهد الجديد، جميع المؤمنين كهنة. إنهم كهنة مقدّسون، يدخلون مقدس الله لأجل العبادة (١بط ٢: ٥)، كما أنهم كهنوت ملوكي، يخرجون إلى العالم للشهادة (١بط ٢: ٩). ثمة ثلاث ذبائح على الأقل يُقرِّبها المؤمن بوصفه كاهنًا. أولاً، هناك ذبيحة جسده أي ذاته (رو ١٢: ١). ثم هنا، في العدد ١٥، الذبيحة الثانية: **ذبيحة التسبيح**. إنها تُقدَّم لله من خلال الرب يسوع. وكل تسابيحنا وصلواتنا يجب أن تمر به قبل بلوغها إلى الله الآب، فينزع رئيس الكهنة العظيم الذي لنا كل الشوائب والنقائص، مضيفًا إليها فضيلته الخاصة.

المسيح يضيف عطره الطيب إلى كل صلواتنا وتسابيحنا،
ثم ترفع المحبة المبخرة لإحراق هذا البخور العطر.

ماري ب. بيترز Mary B.Peters

إن **ذبيحة التسبيح** هي ثمر تلك **الشفاه** المعترفة **باسمه** والعبادة الوحيدة التي يرضى بها الله، هي تلك التي تنبع من شفاه مفدية.

١٣: ١٦ الذبيحة الثالثة هي تقديم ممتلكاتنا. علينا أن نستخدم مواردنا المادية في **فعل الخير** وفي مشاركة المحتاجين فيها. **فبذبائح كهذه يسرّ الله** الحي. إن هذا العمل يشكّل حالة رفض للغنى المادي الذاتي.

إن جهاد كهنة الله الممسوحين
لن يزول أو ينقضي أبدًا.
إنهم يقفون مقابل وجهه المجيد
ويخدمونه ليل نهار.
ومع أنّ المنطق البشري يهاجم
بعنف وعدم الإيمان يجري في تيار صاخب،
فإن كهنة الله المستزين موجودون،
ويبقون حتى النهاية.
هذه النفوس المختارة،
وقد طهرتها النيران المقدسة من أدرانها،
ترتفع بقلوبها إلى قلب الله نفسه
بشعلة من الرغبة المقدسة العميقة،
ويملأ بخور عبادتهم قدس أقداس هيكله،
ونشيدهم يملأ السماوات دهشة،
إنه نشيد النعمة الجديد والمفرّح.

غرهارج ترستيجن Gerhard Tersteegen

١٣: ١٧ في العددين ٧، ٨، دُعي القرّاء إلى تذكّر مرشديهم السابقين. أما الآن، فيتعلّمون ضرورة إطاعة مرشديهم الحاليين. وربما يشير ذلك، بشكل رئيسي، إلى الشيوخ في الكنيسة المحلية. فهؤلاء الرجال يعملون كممثّلين لله داخل الجماعة. لقد مُنحوا سلطة، وعلى المؤمنين أن **يخضعوا** لهذه السلطة. إن هؤلاء الشيوخ **يسهرون** لأجل نفوس القطيع. وسيأتي يوم، **يعطون فيه حسابًا** لله. سيقومون بمهامهم إما بفرح وإمّا آنينٍ وذلك في ضوء ما يحرزه الذين هم في عُهدتهم من تقدم روحي. فإذا فعلوا ذلك بحزن فإنه يعني فقدان الجازاة بالنسبة إلى القديسين، موضوع الاهتمام. إذًا، من مصلحة كل واحد احترام خطوط السلطة التي رسمها الله.

٤. البركة الختامية (١٣: ١٨-٢٥).

١٣: ١٨ وإذ يصل الكاتب إلى نهاية رسالته يطالبهم بالصلاة لأجله ولأجل العاملين معه. وقد نفهم من بقية العدد أنه كان يتعرض لهجمة يشنها عليه منتقدوه. فمن هم هؤلاء المنتقدون: معشر الذين كانوا يرغمون الناس على الرجوع إلى العبادة المرسومة في العهد القديم. إنه يحتج على ذلك معتبرًا أن ضميره صالح ورغبته شريفة، على الرغم من الاتهامات الموجّهة إليه.

١٣: ١٩ كذلك يضيف مسبّبًا آخر للصلاة وهو إمكانية أن يُردّ إليهم بأكثر سرعة. وربما الإشارة هنا هي إلى مسألة إطلاقه من السجن.

١٣: ٢٠ ثم يعرض دعاءً لطلب البركة، وهو واحد من أجمل الأدعية في الكتاب المقدس، يأخذ مكانه إلى جانب كل من سفر العدد ٦: ٢٤-٢٦؛ ٢كورنثوس ١٣: ١٤؛ ويهوذا ٢٤، ٢٥. إنّه موجّه إلى **إله السلام**. وكما ذكرنا قبلاً، لم يكن قديسو العهد القديم ليعرفوا سلامًا كاملاً لجهة الضمير؛ لكن لنا في العهد الجديد سلام مع الله (رو٥: ١)، بالإضافة إلى سلام الله (في ٤: ٧). ثم يوضّح لنا هذا العدد أن هذا السلام هو ثمر عمل المسيح. فالله أقام **ربنا يسوع من الأموات** كعلامة على أن عمله على الصليب سوّى مشكلة الخطية مرة وإلى الأبد.

المسيح، الراعي الصالح بذل نفسه عن الخراف (يو ١٠: ١١)، ثم قام من بين الأموات **بصفته راعي الخراف العظيم**، بعد إكماله عمل الفداء (عب ١٣: ١٢). كما أنه سيعود ثانية، بصفته رئيس الرعاة لمكافأة عبيده (١بط٥: ٤). إننا نراه الراعي الصالح في مزمور ٢٢، وراعي الخراف العظيم في مزمور ٢٣، ورئيس الرعاة في مزمور ٢٤.

لقد **أقيم من بين الأموات** على أساس العهد الأبدي.

ويعلق ويست Wuest على هذا بالقول:

يسمّى العهد الجديد "الأبدي"، وذلك بالمفارقة مع العهد الأول ذي الصفة الموقّتة. وفي دائرة العهد الأبدي هذا أُقيم المسيح من بين الأموات بعد موته من أجل الإنسان الخاطئ. لم يكن باستطاعته أن يكون رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق لو لم يَقُم من الأموات، لأن الإنسان الخاطئ يحتاج إلى كاهن حي حتى يحييه، لا إلى كاهن ميت يقتصر عمله على دفع أجرة الخطية. وهكذا رتّب العهد الجديد أن الكاهن الذي بذل نفسه ذبيحة يُقام من الأموات.

١٣: ٢١ إن الصلاة التي بدأت في عدد ٢٠ هي لأجل تعزيز القديسين **بكل عمل صالح ليصنعوا مشيئة الله**. إننا نشهد هنا اقترانًا عجيبًا لما هو إلهي وما هو بشري. فالله يجهّزنا بكل ما هو صالح؛ كما أن الله يعمل فينا ما **يرضي أمامه**، متمّمًا ذلك **بيسوع المسيح**، ثم نصنع نحن مشيئته. وبكلمة أخرى، إنه يولّد فينا الرغبة ويمنحنا القوة اللازمة للعمل، ثم نقوم نحن بالعمل، فيكافئنا هو على عملنا هذا. تُختتم الصلاة بالإقرار بأن يسوع المسيح يستحق **المجد إلى أبد الآبدين**.

أنت تستحق الإكرام والتسبيح،
أنت تستحق أن يعبدك الجميع،
يا موضوع الأناشيد السماوية الذي لا ينضب!
أنت، أنت تستحق أيها الرب يسوع.

فرانسيس ر. هافرجال Frances Ridley Havergal.

١٣: ٢٢ الكاتب يحثّ قرّاءه الآن على قبول مناشدته لهم في هذه الرسالة، أي لجهة تخليهم عن الديانة الطقسيّة، من أجل الالتصاق بالمسيح بعزم القلب.

إنه يعتبر رسالته هذه مختصرة، وهذا صحيح في ضوء المجال الذي كان أمامه للتوسع في الكلام عن النظام اللاوي، وطريقة تتميمه في المسيح.

١٣: ٢٣ يشير هذا العدد إلى أنه قد **أُطلق الأخ تيموثاوس**، وهذه الإشارة تدعم آراء القائلين إن بولس هو كاتب الرسالة؛ أضف إلى ذلك أن الكاتب يخطّط للسفر مع تيموثاوس، وقد يشكّل ذلك دليلاً آخر عن

الاحتمال عينه. لكن، ليس باستطاعتنا التأكد من ذلك. من هنا، نرى من الأفضل ترك المسألة مفتوحة.

١٣ : ٢٤ التحيّات موجّهة إلى المرشدين المسيحيّين جميعهم وإلى **جميع القدّيسين**. علينا ألا نتجاهل سمات الكياسة المسيحية كما تظهر في هذه الرسالة، أو في الرسائل الأخرى، وهكذا نسعى للاقتداء بها في أيامنا.

كذلك كان برفقة الكاتب بعض المؤمنين من **إيطاليا** وقد رغبوا هم أيضًا في إرسال تحياتهم. وهذا يشير ضمنًا إلى أن الرسالة قد حُررت من إيطاليا، أو إليها.

١٣ : ٢٥ أن يختم الكاتب كلامه عن العهد الجديد، على وتيرة النعمة، هو أمر لابدّ منه، خصوصًا في هذه الرسالة. **النعمة مع جميعكم**. فالعهد الجديد هو عهد نعمة مجانية غير مشروط، مُعلنًا لطفًا لا محدودًا، قدّمه الله لخطاه غير مستحقين بواسطة العمل الكفاريّ الذي أنجزه الرب يسوع. آمين.

مغزى الرسالة إلى العبرانيين لأيامنا الحاضرة

هللر سا لة إ لى ا لعبر ا نيينمغز ى لنا فيا لقر نا لعشر ين ؟ معأ نا ليهو د ية ، لا تشكِّل اليو مالديا نة الر ئيسيَّة كماكا نتا لحا لفيا لأيام الأو لى للكنيسة ،فإنالر و حالنا مو سيَّة تفشت داخلالعا لما لمسيحي.

يكتبالدكتور س .أ .سكو فلد *C.I.Scofield*في كتيِّبها لشهير ، "مفصِّلاًكلمة ا لحقبا لا ستقا مة *Rightly Dividing the Word of Truth*":

> يصدقالقو لإن تهويد الكنيسة قد عملعلى إعا قة تقدّ مها ، و تشو يهر سا لتها و تحطمر و حا نيتها ، أكثر منكلا لعو امل الأ خر ى مجتمعة . فعو ضًا عناً تُّبا عها ا لسبيلا لمعيَّنلها منجهة ا لا نفصا ل عنالعا لم ،و السير و ر ا ء الر بموجب د عو تها السماو ية ؛ ا ستعا نتبا لأ سفا ر المقدّسة اليهو ديَّةبتبر ير عملها فيخفض مستو ى هد فها إ لى مستو ى حضا ر ة العا لم ،و لاقتنا ء الغني ،و لا عتماد نظام شعا ئر يجليل ، و لتشييد كنا ئسفخمة . . و لتقسيمكيا نيضمإ خو ة متسا و ينإ لى "إكليريكيين"و"علمانيين".

إنالر سا لة تد عو نا إلى ا لا نفصا لعنجميع الأ نظمة ا لد ينية حيثلا يُكرّ ما لمسيحبو صفه الر بو ا لمخلِّصا لو حيد ، و حيثلا يُعتر ف بعملهبا عتبار هالقر بانالو احدا لمقدَّ ممرَّ ةو إلى الأبدعنا لخطية.

و تعلِّمنا الر سا لة إلى العبر انيينأ نر مو ز العهد ا لقد يمو ظلا لهو جَد تتتميمها فير بنا . إنهر ئيسا لكهنة ا لعظيما لذ يلنا ، إنهذ بيحتنا ، إ نهمذ بحنا . إ نهيخد مفيا لمسكنا لسما و ي ، و كهنو تهلا يز و ل . كما تُعلِّمأ نا لمؤ منين جميعهمكهنة ، و يحقلهما لد خو ل ، فيأ ي و قت ، إلى محضر ا لله . إنهميقرّ بو نذ با ئح أجسادهما لحيَّة،وتسابيحهم،و ممتلكاتهم.

يكتبديفيدبارون *David Baron*:

> إ نتبنِّيمثا لا لكهنو تا للا و يد ا خل الكنيسة ا لمسيحية ، ا لأمر ا لذ يتسعى النامو سيةلفعله ،ما هو سو ى محاو لة ، بأيدٍغيرطا هر ة،لإعادةحياكة الحجاب الذيقا ماللهنفسه ،المبار كو المصا لح، بشَقِّهإ لى اثنينو كأ نهميقو لو ن : "قفو ا جانبًاو لا تقتر بو امنا لله" لأو لئكالذين

"صاروا قريبين بدم المسيح".

وتعلّمنا الرسالة إلى العبرانيين أن لنا عهد أفضل ووسيط أفضل، ومواعيد أفضل، ووطن أفضل، وكهنوت أفضل، ومال أفضل، أفضل من أحسن ما كان يمكن لليهودية أن تعرضه. إنها تضمن لنا فداءً أبديًا، وخلاصًا أبديًا، وعهدًا أبديًا، وميراثًا أبديًّا.

كما تحذّر، بكل وقار، من خطيّة الارتداد. فإن كان إنسان يعترف زورًا بأنه مسيحي، ويدمج نفسه بكنيسة مسيحية، ثم ينصرف عن المسيح لكي ينضم إلى صفوف أعداء الرب، فلا يعود تجديده مثل هذا للتوبة ممكنًا مرّةً أخرى.

إن الرسالة إلى العبرانيين تشجِّع المسيحيين الحقيقيين على السلوك بالإيمان لا بالعيان، لأن هذه هي الحياة التي تُسرّ المسيح. كما أنها تحثّنا على الصمود بثبات تحت وطأة الآلام والتجارب والاضطهادات حتى ننال المجازاة الموعودة.

وتعلّم الرسالة إلى العبرانيين أن للمسيحيين المؤمنين مسئولية خاصة، وذلك بسبب امتيازاتهم العديدة. فالمجالات التي يبرز فيها تفوّق المسيح، تجعل منهم الشعب الأكثر حظوة في العالم. فإذا أهملوا هذه الامتيازات، فسوف يكابدون بالمقابل خسارة أمام كرسي المسيح. إن هيَتوقّع منهم أكثر بكثير مما يُتوقَّع من أولئك الذين عاشوا تحت ناموس موسى، وفي يوم آتٍ سوف يطالبون بالمزيد بعد.

«فلنخرج إذًا إليه خارج المحلة حاملين عاره» (١٣:١٣).